إمارة الشريف عبدالله آل عون
"شريف مكة المكرمة وأميرها"
(1275 – 1294هـ/ 1858 – 1877م)

د/ أيمن حسن عبد الله زامل
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
بكلية الآداب – جامعة الطائف

المستخلص

نعم الحجاز عموماً ومكة المكرمة على وجه الخصوص في عهد الشريف عبدالله بن محمد بن عبدالمعين بن عون (1275 – 1294هـ/1858 – 1877م) باستقرار نسبي واضح وواسع إلى حدٍّ ما أمنياً وإدارياً واقتصادياً واجتماعياً، كنتيجة طبيعية لتشديد استانبول قبضتها على الحجاز أكثر من ذي قبل، من خلال واليها على مصر ورجلها القوي محمد علي باشا، حيث لم تعد هناك صراعات دموية على منصب الشرافة والذي بقي في معظم فترات العهد العثماني الثاني في أيدي آل عون من العبادلة الأشراف، ما بين الشريف محمد بن عبدالمعين بن عون وأبنائه وأحفاده، كما أنشئت المجالس الإدارية في الحجاز وحددت المهام لمجموعة من المسؤولين بشكل أكثر دقة، وأخيراً أصبح الحجاز منطلقاً للاستقرار السياسي والعسكري للمناطق المجاورة له، وقد تُوّج ذلك الاستقرار على كافة أصعدته في عهد الشريف عبدالله الذي عُرف برجاحة عقله وصواب فكره وقوة عزيمته، فانعكس ذلك وبشكل إيجابي على مكة المكرمة خصوصاً والحجاز عموماً طوال عهده الذي استمر ما يقرب من عشرين عاماً.

Abstract

The Hejaz region in general, and Mecca in particular, experienced a relatively clear and extensive period of stability during the reign of Sharif Abdullah bin Muhammad bin Abdul-Mu'in bin Aoun (1275–1294 AH / 1858–1877 CE). This stability was evident in the security, administrative, economic, and social aspects, as a natural result of Istanbul tightening its grip on the Hejaz more than ever before through its governor in Egypt and its strongman, Muhammad Ali Pasha. Consequently, there were no longer bloody conflicts over the position of the Sharifate, which, for most

of the second Ottoman era, remained in the hands of the Aoun family from the Abadilah Ashraf. The position alternated between Sharif Muhammad bin Abdul-Mu'in bin Aoun, his sons, and his grandsons. Administrative councils were established in the Hejaz, and responsibilities were more precisely defined, leading to a more organized governance structure. The Hejaz became a launching point for political and military stability in the surrounding regions. This stability reached its peak during the reign of Sharif Abdullah, who was known for his sound judgment, wise thinking, and strong determination. These qualities positively impacted Mecca in particular and the Hejaz in general throughout his reign, which lasted nearly twenty years.

- المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على خير خلق الله أجمعين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

تناولت معظم المصادر والمراجع – فيما اطلع عليه الباحث – التي تحدثت عن أشراف[1] مكة المكرمة وحكامها إبان العصر العثماني بشكلٍ عام وجماعي وعابر، حيث ورد ذكرهم من خلال تعييناتهم ومنافساتهم لبعضهم البعض على منصب الشرافة[2]، وعلاقاتهم باستنانبول والقاهرة تحديداً، أما أن يُذكر أحدهم بشكلٍ مستقل وتفصيلي منذ ولادته وشبابه مروراً بتوليه الشرافة وأهم أعماله فيها حتى وفاته، في يكون ذلك إلا من خلال معلومات متفرقة ومتناثرة بين مجموعة كبيرة من الكتب والصفحات المتفاوتة، وعلى القارئ المهتم والباحث المتابع مهمة جمع تلك المعلومات المتفرقة ليتسنى له قراءة كاملة وخاصة عن شخصية معينة ومحددة من شخصيات أولئك الأشراف.

ومن هذا المنطلق كان اختيار الباحث لهذا النوع من الأبحاث حيث تحدث عن علَمٍ من الأعلام وشخصية بارزة من شخصيات أشراف مكة المكرمة وحكامها، وهو الشريف عبدالله بن محمد بن

[1] مصطلح يُطلق على ذرية الحسن والحسين ابنيْ علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وعرف به في كتب التاريخ منهم حكام الحجاز، وقد مكنتهم شرعية انتمائهم للرسول صلى الله عليه وسلم من الحصول على مكانة دينية مرموقة ومركزاً اجتماعياً رفيعاً لدى عامة المسلمين وخاصتهم.

إسماعيل حقي جارشلي، أشراف مكة المكرمة وأمراؤها في العهد العثماني، ترجمة د. خليل مراد، بيروت، الدار العربية للموسوعات، الطبعة الأولى، 1424هـ/2003م، ص ص23 – 24.

[2] هو نظام كان معمولاً به في الحجاز قبل دخوله تحت الحكم العثماني، وبعد دخوله استبقته استانبول، وبمقتضاه يتولى أحد الأشراف ممن يتفق عليه حكم الحجاز، ويكون مقره مكة المكرمة ويُلقب باسم شريف مكة وأميرها، وله خصائص ومزايا كثيرة جداً.

فائق الصواف، العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز (1293-1334هـ/1876-1916م)، القاهرة، مطابع سجل العرب 1398هـ/1978م، ص48.

عبدالمعين بن عون، أحد أبرز أشراف فرع العبادلة[1] وحكامهم، حيث تميزت فترة حكمه والتي دامت ما يقرب من عشرين عاماً بالهدوء الأمني والاستقرار النسبي للأوضاع في الحجاز عموماً وفي مكة المشرفة خصوصاً، لذلك اعتبرت من بين أفضل فترات حكم الأشراف للحجاز والتي امتدت لما يقرب من ألف عام تقريباً.

وكان لرجاحة عقل الشريف عبدالله وصواب فكره وقوة عزيمته وإقدامه دور كبير في استقرار الأوضاع في مكة المكرمة خصوصاً والحجاز عموماً في عهده، حيث كان مهاباً موقراً مسموع الكلمة بين عموم أشراف الحجاز، مكتسباً بذلك ولاءهم وودهم من جهة، وجديراً باحترام وثقة الولاة العثمانيين في الحجاز من جهة أخرى، إضافة إلى ذلك قرب إليه العلماء والوجهاء والأعيان وجعلهم من خاصة مجلسه، واستمال الأهالي بعدله وإنصافه لأصحاب الحق منهم.

أما عن حزمه وعزمه فقد طبق ذلك على أرض الواقع وحقق إنجازات ونجاحات إدارية وأمنية وعسكرية، كان من أشهرها على سبيل المثال نجاحه في القضاء على فتنة حواء، وتحجيم القوة العسكرية لحاكم عسير[2] المتمرد على استانبول محمد بن عائض[3]، بشكل كبير وواضح.

وقد اعتمدت الدراسة على عدد من المصادر والمراجع التي اهتمت بتاريخ الأشراف والحجاز على حدٍّ سواء قبل أكثر من قرن ونصف من الزمان، حيث قام الباحث بجمع وتحليل وتمحيص وشرح وتنسيق المعلومات ذات الصلة بالبحث والمتناثرة في تلك المصادر والمراجع، وتم ولله الحمد والفضل والمنة جمعها بشكل منظم وواضح ومتسلسل، ومنها على سبيل المثال:

---

[1] هم ذرية الشريف عبدالله بن حسن بن محمد بن أبي نمي الثاني، تولى إمارة مكة المكرمة لمدة تسعة أشهر (1040-1041هـ/ 1630-1631م) باتفاق مع الأشراف مع امتناعه عنها ولكن كونه أكبر آل أبي نمي أُلزم بها حقناً للدماء، فحصل بولايته الأمن والأمان، وبعد إتمامه لبناء الكعبة المشرفة على أثر هدمها جراء سيل عام 1039هـ/1629م حج بالناس ثم خلع نفسه تعففاً وزهداً، وقلد إمرة مكة المكرمة لابنه الشريف محمد، وأرسل إلى اليمن من يطالب الشريف زيد بن محمد (جد آل زيد) بالرجوع إلى مكة المكرمة ليكون شريكاً لابنه في الحكم، ثم تفرغ للعبادة حتى وفاته ودُفن بالمعلاة.
أحمد ضياء العنقاوي، معجم أشراف الحجاز في بلاد الحرمين، تقديم/ سامي العنقاوي، وهزاع العبدلي، بيروت، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1426هـ/2005م، ص ص855 – 856.

[2] هي المنطقة الواقعة بين الحجاز شمالاً واليمن جنوباً ونجد شرقاً والبحر الأحمر غرباً، وقد سميت بهذا الاسم لصعوبة مسالكها وكثرة تعاريجها، وتنقسم تضاريسياً إلى سراة وتهامة، فالسراة هي المناطق المرتفعة من جبال السروات، ومن أهم مدنها أبها التي أصبحت مركزاً للمتصرفية العثمانية سنة 1289هـ/1872م وخميس مشيط وحجلة ورجال ألمع، أما تهامة فهي المناطق الساحلية الممتدة على طول ساحل البحر الأحمر من القنفذة شمالاً وحتى الموسم جنوباً، ومن أهم مدنها صبيا وأبو عريش والقنفذة.
يوسف العارف، العثمانيون وحكومة الأدارسة في عسير (1325-1337هـ/1907-1918م)، جدة، دار أبو المجد للطباعة، الطبعة الأولى، 1415هـ/1995م، ص26.

[3] هو محمد بن عائض بن مرعي من بني مغيد، تولى حكم عسير في سن مبكر عام 1273هـ/1857م، ومنحته استانبول الباشوية ورتبة أمير الأمراء سنة 1283هـ/1866م معترفة به قائم مقام لعسير، لكنه طمع في ضم تهامة وبلاد غامد وزهران إلى حكمه وزحف إليها بجيشه وكانت في أيدي العثمانيين فصدوه عنها واستولوا على بلاده وأسروه مع بعض رجاله وأعدموا جميعاً في استانبول.
خير الدين الزركلي، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة 17، 2007م، ج6، ص179.

1- أحمد أمين بيت المال، النخبة السنية في الحوادث المكية:

تكمن أهمية الكتاب في معاصرة مؤلفه لكامل فترة حكم الشريف عبدالله من جهة، ولكون مؤلفه أيضاً من أهالي مكة المشرفة من جهة أخرى، حيث يعتبر شاهد عيان للكثير والكثير من أعمال الشريف عبدالله وبأدق تفاصيلها.

2- أحمد زيني دحلان[1]، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام:

كما هو واضح من العنوان اهتم المؤلف بذكر سير أمراء مكة المكرمة من الأشراف بشكل موجز بحكم عدم تخصصه، فكما هو معروف كان رحمه الله مفتي الشافعية بمكة المكرمة، ومع ذلك فقد قدم للقارئ معلومات هامة جداً خاصة في فترة العهد العثماني الثاني في الحجاز[2] والتي كانت من ضمنها فترة حكم الشريف عبدالله، حيث لم يكن معاصراً في الزمان والمكان لها فحسب بل وصاحب صفة رسمية في دار الإمارة الجليلة.

3- سنوك هورخرونيه، صفحات من تاريخ مكة المكرمة:

ما يميز الكتاب هو استقلالية رأي مؤلفه الأجنبي والذي لم يكن محابياً ومجاملاً يطمع في هبة من الشريف بل كان محايداً بدرجة كبيرة في بعض الأحيان، وناقداً لاذعاً في أحيان أخرى , سواء كان نقداً إيجابياً أو سلبياً، فليس معنى أنه مستقل أن يكون على حقٍ دائم، فلا يجب أن يغفل القارئ عن أنه أجنبي قد لا يتوانى عن النيل من الإسلام وأهله، خاصة إذا كان الأمر يتعلق بمكة المكرمة معقل الإسلام والأشراف أحفاد نبي الإسلام ~.

وأخيراً يأمل الباحث أن يكون قد وفق وقدم عملاً خالصاً لوجه الله تعالى، يضيف به جديداً في المكتبة التاريخية عن الحجاز وحكامه الأشراف على الوجه المطلوب.

---

[1] وُلد بمكة المكرمة سنة 1232هـ/1817م ونشأ بها، وتتلمذ على أيدي شيوخ الحرم المكي الشريف، وأجازه كل منهم في تخصصه فقهاً وحديثاً وتفسيراً ونحواً وصرفاً وتوحيداً، وتولى منصب مفتي الشافعية ثم رئيس العلماء في البلد الحرام، ألّف أكثر من عشرين مؤلفاً في مجالات متنوعة من بينها "السيرة النبوية والآثار المحمدية" و"الأزهار الزينية في شرح متن الألفية" و"خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام"، وفي زمنه أُنشئت أول مطبعة في مكة المكرمة فطبع فيها بعض كتبه، توفي بالمدينة المنورة سنة 1304هـ/1886م، ودُفن بالبقيع.

عبدالله غازي، نظم الدرر في اختصار نشر النور والزهر في تراجم أفاضل أهل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، تحقيق/ د. عبدالملك بن دهيش، مكة المكرمة، المكتبة الأسدية، الطبعة الأولى، 1435هـ/2014م، ص ص411 – 413.

أحمد زيني دحلان، تاريخ أشراف الحجاز، تحقيق/ د. محمد أمين توفيق، بيروت، دار الساقي، الطبعة الأولى 1993م، ص ص83-87.

الزركلي، المصدر السابق، ج1، ص ص129 – 130.

[2] يُقصد به الفترة الممتدة ما بين عامي (1227-1334هـ/1812-1916م)، أي منذ استعادة قوات محمد علي باشا للمدينة المنورة وكامل الحجاز باسم السلطان العثماني محمود الثاني من أيدي قوات الدولة السعودية الأولى وحتى قيام ثورة الشريف الحسين بن علي وإخراجه للقوات العثمانية نهائياً من كامل الحجاز.

عبدالرزاق عيسى، دراسات ورسائل في تاريخ المدينة المنورة، ا لقاهرة، دار القاهرة، 2009م، ص151.

- ولادته وشبابه:

وُلد الشريف عبدالله في بيت والده في مكة المكرمة بحي الشامية[1] بجوار البازان[2] الذي كان معروفاً هناك في عام 1237هـ/1821م، وعندما بلغ السادسة من عمره تولى والده شرافة مكة المكرمة وإمارتها بطلب من والي مصر محمد علي باشا[3]، وفي عهد الشريف محمد[4] بني قصر الحكم في الغزة[5] ليكون نزلاً له ولذريته من بعده، وهكذا أكمل الشريف عبدالله طفولته وشبابه بين هذا وذاك[6].

وفي شبابه رحل الشريف عبدالله مع والده إلى مصر بناء على طلب واليها محمد علي باشا واستقر فيها بعض الوقت حتى كانت معاهدة لندن في عام 1256هـ/1840م[7]، فعاد معها الشريف محمد وابنه عبدالله إلى الحجاز ليكمل شرافته على مكة شرفها الله، وقبل أن يتوجه الشريف محمد من مصر إلى

(1) من أحياء مكة المكرمة العريقة والملاصقة تماماً للحرم المكي الشريف من الجهة الشمالية، فهو على بعد أمتار معدودة من الكعبة المشرفة، ومن هنا جاءت التسمية، لكن هناك من ينسبه إلى بائعي الأقمشة من أهالي بلاد الشام الذين كانوا متمركزين في هذه المنطقة.

فوزي ساعاتي، حارة الشامية والحارات المجاورة لها وشرف الجوار في شمال المسجد الحرام، جدة، الطبعة الأولى، 1434هـ، ص65.

(2) هو حوض كبير يُصب فيه الماء ويُحفظ لحين استخراجه منه بالدلو، ويكون موجود في كل حي من أحياء مدن الحجاز الكبرى ليستفيد منه الأهالي في شربهم وحاجاتهم الشخصية.

يوسف رضا، معجم العربية الكلاسيكية والمعاصرة، بيروت، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى 2006م، ص248.

(3) الباني الأصل مستعرب (1184-1265هـ/1769-1849م)، قدم إلى مصر كجندي ضمن الجيش المكلف بإخراج القوات الفرنسية منها بقيادة نابليون بونابرت، وعندما تم ذلك لمع نجمه عقب استئثاره بالسلطة فيها، تولى ولاية مصر في عام 1220هـ/1805م وبقيت في عقبه من بعده حتى عام 1372هـ/1952م.

الزركلي، المصدر السابق، ج6، ص ص298 – 299.

(4) هو محمد بن عبدالمعين بن عون، جد ذوي عون من الأشراف، ولد بمكة المكرمة في عام 1204هـ/1790م ونشأ بها، وسكن مصر مدة من الزمن، عُين في إمارة مكة المكرمة عام 1243هـ/1827م بطلب من والي مصر محمد علي باشا وعزل عنها في عام 1267هـ/1851م وأقام في استانبول حتى أعيد إلى إمارتها مرة أخرى في عام 1272هـ/1856م، وبقي كذلك حتى وفاته بها سنة 1274هـ/1858م.

الزركلي، المصدر السابق، ج6، ص ص247 – 248.

(5) سوق مكة المكرمة الرئيسي، يقع إلى الشمال الشرقي من الحرم المكي الشريف.

عاتق البلادي، معجم معالم الحجاز، بيروت، مؤسسة الريان للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1431هـ/2010م، ج6، ص1260.

(6) أحمد بيت المال، النخبة السنية في الحوادث المكية، تحقيق/ حسام مكاوي، مكة المكرمة، مركز تاريخ مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1443هـ/2022م، ج1، ص177 / 204.

الزركلي، المصدر السابق، ج4، ص132.

عبدالفتاح راوة، تاريخ أمراء البلد الحرام عبر عصور الإسلام، الطائف، مكتبة المعارف، 1407هـ/1986م، ص367.

(7) وقعت بين محمد علي باشا وبعض الدول الأوربية المؤثرة آنذاك وفي مقدمتها بريطانيا وفرنسا بالإضافة إلى روسيا، حيث أجبر فيها الأول عن تخليه عن جميع الأراضي التي كان يسيطر عليها خارج حدود مصر بما فيها الحجاز لصالح الدولة العثمانية، وفي المقابل يكون حكم مصر له ولذريته من بعده، وذلك حرصاً من تلك الدول على استمرارية ضعف الدولة العثمانية.

صالح العمرو، النزاع التركي – المصري على شمال الحجاز وسيناء وتدخل الحكومة البريطانية (1884 – 1906م)، مجلة الدارة، السنة 5، العدد 1، ربيع ثاني 1399هـ/ مارس 1979م)، ص ص7 – 8.

الحجاز أقام ابنه الشريف عبدالله قائم مقام[1] عنه في مكة المكرمة وكان عمره نحو عشرين سنة فقام بالأمر على الوجه المطلوب وهيأها لوالده الذي وصل إلى ينبع[2] بحراً وسار منها إلى المدينة المنورة وبقي فيها لعدة أشهر رتب خلالها أعمالها الإدارية على ضوء العهد العثماني الثاني الجديد[3]، كما تولى الشريف عبدالله مشيخة الحرم ا لمكي[4] بالإنابة عن عثمان باشا[5]، فأصبح بذلك قائماً لمقام الإمارة الجليلة وولاية الحرم جامعاً بينهما، مما يدل على نضوج فكره مبكراً وثقة والده به[6].

وبعد بضع سنوات ومع نضوج الشريف عبدالله أكثر فأكثر تعززت ثقة والده فيه أكثر فأكثر أيضاً، حيث جاء التكليف من استانبول في عام 1265هـ/1848م للشريف محمد بقيادة حملة لتأديب المتمردين والعصاة في عسير[7] واليمن، فسير ابنه الشريف عبدالله على رأس حملة إلى عسير ونجح في عقد صلح مع حاكمها محمد بن عائض[8] على أن لا يتجاوز حدود عسير واسترجع منه بلاد بني شهر[9]

---

[1] هو الشخص الذي يقوم مقام الغير في منصبه، مثل قائم مقام الصدراة وقائم مقام الإمارة... الخ، وهو أعلى منصب إداري في الأقضية.
سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة/ د. عبدالرزاق بركات، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1421هـ/2000م، ص170.

[2] تقع إلى الجنوب الغربي من المدينة المنورة على بعد 225 كيلو تقريباً على ساحل البحر الأحمر، سُميت بهذا الاسم نسبة إلى كثرة ينابيعها، بنيت شمال خليج عميق يؤمن مكاناً ملائماً لرسو السفن، وفي عام 621هـ/1224م جعل الأيوبيون فيها ميناءً رئيسياً للمدينة المنورة، وازدهرت كثيراً في عهد المماليك حتى غدت محطة لزوار المدينة المنورة، وفي العهد العثماني أصبحت ينبع ثاني أكبر موانئ الحجاز بعد جدة، حيث يرسل إليها بحراً كل ما يخص المدينة المنورة من احتياجات.
جون لويس بوركهارت، رحلات إلى شبه الجزيرة العربية، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، 2005م، ص ص347 – 348.

[3] سبق ذكره في ص 5

[4] منصب إداري رفيع يُعنى صاحبه بجميع ما يتعلق بأمور الحرم المكي الشريف من كسوة وعمارة وترميم وصيانة وتعيين موظفيه ومتابعة أعمالهم من أئمة وخطباء ومؤذنين وبوابين... الخ، كما يقوم بالإشراف على توزيع المخصصات على مستحقيها، لذلك كان يحظى بتقدير واحترام بالغ من الجميع.
نوال ششه، الحجاز تحت حكم محمد علي (1226-1256هـ/1811-1840م)، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، رسالة دكتوراه، إشراف د. عبداللطيف بن دهيش، 1409هـ/1989، ص ص190 – 191.
عبدالله منسي، البيت الحرام في العصر الحديث (923-1344هـ/1517-1926م)، جدة، جامعة الملك عبدالعزيز، مركز النشر العلمي، الطبعة الأولى، 1434هـ/2013م، ص ص5 – 6.

[5] عُين والياً على الحجاز بعد استعادته من يد محمد علي باشا عقب معاهدة لندن عام 1256هـ/1840م، وبقي كذلك حتى عام 1261هـ/1845م، وعمل على استعادة كل من الوجه والمويلح في شمال غرب الحجاز على ساحل البحر الأحمر.
سهيل صابان، مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني، الرياض، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، 1425هـ/2004م، ص130.

[6] عبدالفتاح راوه، المرجع السابق، صص372 – 373.

[7] سبق ذكرها في ص 4

[8] سبقت ترجمته في ص 4

[9] إحدى قبائل عسير، تسكن المنطقة الممتدة من شرق القنفذة إلى سلسلة الجبال الرئيسية، وتحد بلادهم من الشمال بلاد بني عمرو وبلاد بلقرن من جهة تهامة، ومن الجنوب بلاد بلسمر والريس، ومن الشرق بلاد شهران وبيشة ومن الغرب قبائل حرب وربيعة وبارق، كان بنو شهر عن بكرة أبيهم مع الأتراك والشريف ضد ابن عائض.
مجموعة من الباحثين، معجم البلدان والقبائل في شبه الجزيرة العربية والعراق وجنوب الأردن وسيناء، ترجمه وعلق عليه/ د. عبدالله ناصر العوليعي، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، 1435هـ/2014م، م7، ص22.

وبيشة[1]، وعليه فقد منحته الدولة رتبة باشا ميرميران بنيشان، وبذلك كان الشريف عبدالله على قدر المسؤولية وعند حسن ظن والده به[2].

وعندما بلغ الشريف عبدالله الثلاثين من عمرة عُزل والده عن شرافة مكة المكرمة في عام 1267هـ/1851م لصالح الشريف عبدالمطلب بن غالب[3] من ذوي زيد[4]، ورحلت الأسرة كاملة إلى استانبول وبقيت فيها معززة مكرمة في ضيافة السلطان عبدالمجيد الأول[5]، حيث كان من بين التجارب التي أقرها ا لباب العالي[6] في تعامله مع حكام مكة المكرمة من الأشراف أن تحتفظ استانبول بالمطالبين منهم بتولي الشرافة أو حتى المرشحين لها والمنافسين فيها أو أحداً من أبنائه أو إخوته.

وقد ظهر ذلك جلياً إبان القرن 13هـ/19م حيث كان الصراع على أشده بين العبادلة[7] وذوي زيد[8] على شرافة مكة المكرمة، وعليه فقد احتفظت استانبول حتى بعد إعادة تعيين الشريف محمد بن عبدالمعين بن عون[9] في شرافة مكة المكرمة في عام 1272هـ/1856م بابنه الأكبر الشريف عبدالله

---

[1] قرية في المسقى بمنطقة عسير، ترتفع عن مستوى سطح البحر بأكثر من ألفي متر، وترتبط مع طريق الطائف – أبها – جازان الرئيسي.
مجموعة من الباحثين، معجم البلدان والقبائل، م1، ص ص485 – 486.

[2] أحمد زيني دحلان، المصدر السابق، ص ص34 – 35.
عبدالفتاح راوه، المرجع السابق، ص374.

[3] هو الشريف عبدالمطلب بن غالب بن مساعد آل زيد، ولد بمكة المكرمة سنة 1209هـ/1794م، عرف بميله للمغامرة والمشاكسة، لم يكن على وفاق مع والي مصر محمد علي باشا والإدارة المصرية في الحجاز، وهو ما يفسر توليه إمارة مكة المكرمة وعزله لمرات عديدة كان مجموع مدتها ثمان سنوات، توفي في عام 1303هـ/1885م ودفن بالمعلاة.
الزركلي، المصدر السابق، ج4، ص154.

[4] هم ذرية الشريف زيد بن محسن بن حسن بن محمد بن أبي نمي الثاني، ومن أبرز من تولى منصب الشرافة منهم كان الشريف سرور بن مساعد والشريف غالب بن مساعد والشريف عبدالمطلب بن غالب.
محمد الأمين المكي، الآثار المبرورة والمشكورة للسلاطين العثمانيين في الحرمين الشريفين، ترجمة/ د. سعد الدين أونال، تحقيق/ د. أيمن زامل، القاهرة، أروقة أزهرية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1446هـ/2025م، ص217.

[5] وُلد في عام 1237هـ/1822م، تولى الحكم بعد وفاة والده السلطان محمود الثاني في عام 1255هـ/1839م ولم يبلغ الثامنة عشرة من عمره في ظروف صعبة جداً بسبب وصول قوات إبراهيم بن محمد علي باشا إلى مشارف استانبول، أما على الصعيد الداخلي فقد صدر في عهده مرسوم كلخانة فور توليه الحكم مباشرة، وفيه وضعت قواعد الإصلاح على الأسس والمبادئ الأوروبية، وفي عام 1273هـ/1856م صدر منشور التنظيمات الخيرية ليؤكد على ما جاء في سابقه إرضاءً لبريطانيا وفرنسا حتى تقف إلى جانب الدولة العثمانية في حربها ضد روسيا، وفي عام 1277هـ/1867م توفي السلطان عبدالمجيد الأول وعمره 40 سنة بعد أن قضى في الحكم حوالي 22 سنة.
محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: د. إحسان حقي، بيروت، دار النفائس، الطبعة السابعة، 1414هـ/1993م، ص455.
إسماعيل ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، الرياض، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى 1416هـ/1996م، ص ص150 – 157.

[6] مصطلح يطلق على مقر الحكومة العثمانية في استانبول.
إسماعيل ياغي، المرجع السابق، ص80.

[7] سبق ذكرهم في ص 3

[8] سبق ذكرهم في ص 9

[9] سبقت ترجمته في ص 7

والذي اشتهر عند أصحاب القرار والمسؤولين فيها بكمال عقله وحسن تدبيره ومعرفته بالأحكام، علاوة على علمه وأدبه وحُسن خلقه، إذ كان ولوعاً بالمناظرات العلمية وصاحب اطلاع واسع في التفسير والحديث والفقه والأدب، ويكثر من مجالسة العلماء ويوقرهم ويكرمهم ويقربهم إليه، ولذلك كله فلا غرابة من أن تمنحه استانبول رتبة الوزارة ليكون بذلك أول شريف يحصل على درجة و زير كما عُيّن عضواً في مجلس شورى الدولة وكذلك عضواً في مجلس ولاية أحكام عدلية (المجلس الأعلى للأحكام العدلية) وعضواً في المجلس الخاص[1].

- توليه الشرافة وضبط الأمن الداخلي:

ما أن توفي الشريف محمد بن عبدالمعين بن عون[2] حتى أصدر السلطان عبدالمجيد الأول[3] في رمضان من عام 1274هـ/ أبريل 1857م فرمانه القاضي بتولي ابنه البكر الشريف عبدالله المقيم في استانبول شرافة مكة المكرمة، وإلى حين قدومه إليها قام والي جدة نامق باشا[4] بتنصيب أخيه الشريف علي بن محمد[5] على شرافة مكة بالوكالة، حيث بقي الشريف عبدالله بعد ذلك في استانبول لبضعة أشهر متعمداً بسبب رغبته في الانتهاء من التحقيق وإصدار الأحكام الخاصة بفتنة أو حادثة القناصل الأوروبيين في جدة والتي وقعت في أواخر عام 1274هـ/1857م[6] قبل وصوله مكة المكرمة وتوليه إمارتها، حتى لا يناله من أسبابها وتفاصيلها ونتائجها شيئاً، وفعلاً فبعد أن أُقفل ملفها تماماً ونهائياً وصل

---

[1] أحمد زيني دحلان، المصدر السابق، ص47.

سنوك هور خرونيه، صفحات من تاريخ مكة المكرمة في نهاية القرن 13هـ، ترجمة إلى العربية/ محمد الرياني معراج مرزا، مراجعة: محمد إبراهيم أحمد علي، مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي الأدبي، الطبعة الأولى، 1411هـ/1990م، ج1، ص ص307 – 308.

عبدالفتاح راوه، المرجع السابق، ص382.

إسماعيل حقي جارشلي، المرجع السابق، ص224.

[2] سبق ترجمته في ص 7

[3] سبق ترجمته في ص 10

[4] جذوره من قونيه في وسط تركيا حالياً، قدم إلى استانبول والتحق بالجيش العثماني في عام 1241هـ/1826م، وبالتزامن مع أحداث فتنة جدة أو حادثة القناصل الأوروبية المشهورة في تاريخ الحجاز عام 1274هـ/1857م عُين والياً عليه وكانت سبباً في عزله عام 1276هـ/1859م.

عبدالإله باناجه، تاريخ جدة من أقدم العصور حتى نهاية العهد العثماني، الطبعة الأولى، 1436هـ/2015م، ص ص369 – 379.

أريج القثامي، مكة المكرمة (1277-1334هـ/1861-1916م)، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، كرسي الملك سلمان بن عبدالعزيز لدراسات تاريخ مكة المكرمة، 1437هـ/2016م، ص115.

[5] هو الشريف علي بن محمد بن عبدالمعين بن عون، حصل على بعض الرتب من الدولة العثمانية في عام 1272هـ/1856م حيث كان مقيماً مع والده وإخوته في استانبول والتي توفي بها في عام 1291هـ/1874م، أعقب اثنين من الأبناء هما الشريف الحسين – ملك الحجاز فيما بعد – والشريف ناصر.

أحمد بيت المال، المصدر السابق، ج1، ص474.

سهيل صابان، مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية، ص142.

[6] وقعت تلك الحادثة بسبب تسلط بعض القناصل الأوروبيين ووكلائهم التجاريين في جدة على بعض تجارها وأهلها وتجرؤهم على انتقاص السيادة العثمانية عليها، مما حذا بالأهالي إلى الاعتداء على أولئك القناصل ووكلائهم بالقتل والإهانة، للتفصيل أكثر انظر: تهاني الحربي، القنصليات الأجنبية في جدة (1252-1344هـ/1836-1925م)، الرياض، مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، 1440هـ، الفصل الثاني.

الشريف عبدالله إلى مكة المكرمة في ربيع الأول من عام 1275هـ/ أكتوبر 1858م ودخلها في موكب عظيم كان في استقباله كبار رجال الدولة من العلماء والأشراف والأعيان والوجهاء مصطحباً معه ميزاباً جديداً للكعبة المشرفة محلّى بالذهب، واحتفل الجميع بوضعه في مكانه المخصص في حين أرسل القديم إلى استانبول ليُحفظ هناك[1].

وفور تولي الشريف عبدالله منصب الشرافة[2] مباشرة أسند إليه السلطان عبدالمجيد الأول[3] مهمة إنشاء قوة عسكرية لتقويم سلوك بعض العربان بين الحرمين الشريفين نتيجة الإخلال الأمني بينهما آنذاك، حيث رأى ضرورة أن تتألف تلك القوة إلى جانب أبناء الحجاز من أبناء الأتراك الذين سكنوا الحجاز مدة طويلة وتعودوا على مناخه، وتعيين ضباطها بالانتخاب وأن تطبق على هذه القوة أنظمة ألوية العساكر العونية، وأن تتألف من 1500 شخص، 500 منهم من الفرسان، و1000 من الجمالة[4].

لم يقتصر اضطراب الأمن على ما بين الحرمين الشريفين فحسب، بل امتد حتى داخل مدن الحجاز الرئيسية وبواديها، لكن يقظة وعزم وحزم الشريف عبدالله كانت لذلك بالمرصاد، يذكر من ذلك على سبيل المثال ما كان في عام 1279هـ/1862م عندما أمر الشريف عبدالله بالقبض على عشرة أشخاص من كبار جماعة البيشي قاتل أحد الأشراف من ذوي جود الله في بستان العقيق[5] في الطائف وحبسهم وهددهم بقتلهم جميعاً إن لم يأتوه بالقاتل الهارب، وما أن أتوا به حتى أ مر بقتله في ذات البستان، كما أمر بالقبض على أحد أبناء عمومته من الذين كانوا يسعون في الأرض فساداً في البوادي مؤذياً للعباد يسلب وينهب ما عندهم من مال ومتاع، وعندما قبض عليه رجاله أمر بضربه وحبسه، كذلك أمر الشريف عبدالله بقتل رجل من أهل البادية عند بركة الشامي[6] في مدخل مقبرة المعلاة[7] جراء قتله رجلين كان على خلاف معهما، وأمر بأن تعلق على رأسه ورقة كُتب عليها: "هذا جزاء من يقتل

---

[1] أحمد زيني دحلان، المصدر السابق، ص ص47 – 52.

عبدالفتاح راوه، المرجع السابق، ص ص382 – 383.

إسماعيل حقي جارشلي، المرجع السابق، ص ص 222 – 223.

[2] سبق ذكره في ص 3

[3] سبقت ترجمته في ص 10

[4] إسماعيل حقي جارشلي، المرجع السابق، ص223.

[5] العقيق وادٍ يمر بطرف الطائف من الشمال والغرب، وبه عدد من الأحياء والقرى، ملاكه الأشراف خاصة العبادلة منهم.

عاتق البلادي، المرجع السابق، ج6، ص1174.

[6] البركة هي شبه حوض يُحفر في الأرض بالأجور والنورة، أما عن موقع بركة الشامي تحديداً فكانت بالقرب من المعلاة، عمرت في عام 813هـ/1410م، وكان يستقر أمامها الحاج الشامي بقيادة أميره ومعه المحمل.

مجموعة من الباحثين، موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، الطبعة الأولى 1430هـ/2007م، م4، ص ص648/651.

محمد علي فهيم، ملامح النشاط الاجتماعي في مكة المكرمة في القرن 12هـ/18م، القاهرة، زهراء الشرق، الطبعة الأولى، 2009م، ص248.

[7] مقبرة أهل مكة المكرمة منذ الجاهلية، تقع إلى الشمال من الحرم المكي على بعد كيلو واحد تقريباً، دُفن بها جمع من الصحابة والتابعين والعلماء والصالحين في مقدمتهم السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

محمد الأمين المكي، المصدر السابق، ص29.

النفس"[1].

وعندما قام أحد الأشراف بإحراق منزل لابن عمٍ له شكى المتضرر للشريف عبدالله الذي كان مقيماً في الطائف آنذاك حيث قام بجمع الخصمين في اجتماع كبير حضره كبار الأشراف والمفتين[2] والعلماء وأنكر الفاعل فعلته، فشهد عليه شاهدان تمت تزكيتهما ومن ثم تمت إدانته وقدر المنزل المحروق بسبعين ألف ريال تم إسقاط أربعين ألف منها وألزم المعتدي بدفع ثلاثين ألف إضافة إلى حبسه، أيضاً أمر الشريف عبدالله بقتل مجموعة من عبيده في البواردية[3] ممن استغلوا نفوذهم وقربهم منه وقاموا بقتل رجل من أهالي أجياد[4] وسرقوا ماله، وعلى الرغم من توسط الباشا[5] للعفو عنهم إلا أن الشريف عبدالله أبى وأرسلهم إلى المعلاة[6] حيث قتلوا هناك وعلقت على رؤوسهم أوراق كتب عليها: "هذا جزاء من يقتل"[7].

وفي أوائل عام 1288هـ/1871م اندلعت شرارة الفتنة المعروفة في المصادر التاريخية المكية باسم "فتنة حواء"، وذلك عندما اشتبك رجل يدعى محمد حواز "حواء" كما ذكر في الوثائق العثمانية التي رصدت هذه الواقعة مع بعض رجال الأمن العثماني في أحد أسواق مكة المكرمة حيث كان مطلوباً لديهم، وعندما تكاثر عليه العسكر استنجد ببعض الأهالي الذين بدورهم أعانوه على العسكر، ولم يكتفوا بتخليصه من أيديهم فحسب بل قاموا بضربهم فأُصيب عدد كبير من الطرفين، ومن ثم اتسعت المواجهات بين الأهالي والعسكر وخرج الوضع عن السيطرة وهنا ثارت مخاوف والي الحجاز آنذاك خورشيد

---

[1] أحمد بيت المال، المصدر السابق، ج1، ص234/183/182/56/55.

[2] جمع مفتي، وهو من يتولى مهمة الإفتاء من العلماء، وتكون مهمته الإخبار بحكم الله تعالى عن مسألة دينية بمقتضى الأدلة الشرعية، ويعتبر منصب الإفتاء من أهم المناصب الدينية في المجتمع الإسلامي.
مجموعة من الباحثين، موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، م3، ص175/147 – 176.

[3] جمع بواردي من قولهم بردة الفارسية بمعنى ستر أو حجاب، ودار بمعنى صاحب، فيكون المعني المركب صاحب الحجاب أو البواب، وكانت تستخدم في مكة المكرمة بمعنى حارس أو حرس شخصي ويكونون في الغالب من السودان، وقد يكون المعنى صاحب البارودة أي البندقية.
حسام مكاوي، المصطلحات الحضارية في مكة المكرمة من خلال بعض الكتب والوثائق المكية من القرن 9هـ حتى منتصف القرن 14هـ، مكة المكرمة، مركز تاريخ مكة المكرمة 1437هـ/2016م، ص ص83 – 84.

[4] من أقدم أحياء مكة حيث تمتد جذوره إلى ما قبل الإسلام، ويقع جنوب الحرم المكي، وفي العصر العثماني كان يحوي الكثير من المقار الرسمية التابعة للدولة.
فوزي ساعاتي، المرجع السابق، ص69.

[5] أي والي الحجاز، وكان حينها وجيهي باشا المعروف بشيخ الوزراء، كان ساكن الحركات، صاحب لطافة، حمدت سيرته بين الناس، أُسندت إليه مشيخة الحرمين الشريفين، ولم تسند لغيره، وذلك لكفاءته الإدارية وحُسن تصرفه، اهتم بالعمران فبنى قلعة بمكة المكرمة وأخرى بالطائف.
محمد الأمين المكي، المصادر السابق، ص231.

[6] سبق ذكرها في ص 13

[7] أحمد بيت المال، المصدر السابق، ج1، ص294/293/261/259.

باشا[1] والذي قام بدوره بالتنسيق والتشاور مع الشريف عبدالله واتفق الرجلان على ضرورة استخدام القوة للسيطرة على الموقف، فخرج الشريف إلى الأسواق المليئة بالفوضى ومعه عسكره وعزل بعضها عن بعض فسكنت الفتنة، ومع ذلك أمر خورشيد باشا بالاستعانة بكتيبة عسكرية من الطائف لتعزيز وتشديد قبضة الأمن ومواجهة أي احتمال قد ينشأ، وبعد هدوء الأوضاع نسبياً عقد الشريف عبدالله مجلساً إدارياً برئاسته وكامل أعضائه وهم والي الحجاز وأركان الولاية وبعض من الأشراف والسادة والعلماء وقرروا تأديب بعض مثيري الفتنة ونفيهم إلى خارج مكة المكرمة بمدد متفاوتة وحبس بعضهم الآخر، حيث تقرر حبس خمسة أشخاص منهم مع الأعمال الشاقة لمدة ثلاث سنوات في جدة، ونفي الآخرون وعددهم 43 شخص إلى جزيرة روردس في البحر المتوسط[2] على أن يتم ذلك برفقة قوة عسكرية، أما رؤوس الفتنة كما تصفهم الوثيقة وفي مقدمتهم محمد حواز وأخوه فقد تقرر إعدامهم في جدة تطبيقاً للمادة الخامسة والخمسين من القانون وبموافقة السلطان العثماني[3].

أعماله الإدارية:

حصلت المدن الكبرى في الحجاز بمكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والطائف وينبع زمن الشريف عبدالله وتحديداً في عام 1286هـ/ 1869م على حصتها في المجالس البلدية والإدارية المكونة من الوجهاء والموظفين كتطبيق محلي لنظام الولايات الذي أصدره السلطان عبدالعزيز[4] في عام 1281هـ/ 1864م والقاضي ببداية مرحلة جديدة في إدارة الدولة العثمانية للولايات والأقاليم التابعة لها وبسط سياستها المركزية على كافة تلك الولايات والأقاليم، وذلك للحد من نفوذ الولاة والزعامات المحلية بما فيها الحجاز، حيث استمر استخدام تكتيكات المنافسة المحتدمة بين الأشراف فيما بينهم خاصة

---

[1] كان محافظاً لمكة المكرمة عام 1247هـ/1831م، ساعد الشريف محمد بن عبدالمعين بن عون في قتاله ضد قبيلة حرب، ومن أعماله خلال ولايته على الحجاز بناء قلعة الطائف في عام 1288هـ/1871م وجعل فيها سائر دوائر الدولة في الولاية.

أريج القثامي، المرجع السابق، ص117/39.

[2] إحدى جزر بحر إيجه، تقع في أقصى الجنوب الشرقي منه مقابل السواحل الجنوبية للأناضول، وهي تتبع لجمهورية اليونان حالياً.

لاروس، أطلس بلدان العالم، بيروت، عويدات للنشر والطباعة، الطبعة الأولى، 2015م، ص278.

[3] أحمد بيت المال، المصدر السابق، ج1، ص ص397 – 399.

أحمد زيني دحلان، المصدر السابق، ص ص55 – 56.

حمده المصعبي، السالنامه كمصدر من مصادر تاريخ الحجاز خلال فترة الحكم العثماني الثاني، 1301هـ/1886م، جامعة الملك عبدالعزيز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، رسالة ماجستير، 1435هـ/2013م، ص ص46 – 48.

[4] ولد في عام 1245هـ/1830م، تولى أمر السلطنة بعد وفاة أخيه السلطان عبدالمجيد الأول في عام 1277هـ/1861م، أصدر قانون الولايات في عام 1281هـ/1864م، والذي قسمت الدولة بموجبه إلى عدد من الولايات وكل ولاية إلى عدد من المتصرفيات (سناجق) وكل متصرفية إلى عدد من الأقضية (قائم مقامات) وكل قضاء إلى عدد من النواحي (المديريات)، كما شملت الإصلاحات نظامي القضاء والتعليم، ومع ذلك عزل عن الحكم في عام 1293هـ/1876م.

الدولة العثمانية، الدستور (النظام الأساسي) أو (القانون الأساسي العام)، ترجمة/ نوفل أفندي نعمة الله نوفل، مراجعة/ خليل أفندي الخوري، بيروت، المطبعة الأدبية، 1301هـ، ج1، ص ص 382/367.

علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية، دمشق، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، 1415هـ/1994م، ص ص198 – 201.

العبادلة[1] وذوي زيد[2] من جهة، وبين الأشراف والولاة العثمانيين من جهة أخرى، وإبقاء كل طرف مهدد بالعزل في أي وقت ما لم يدين بالولاء الكامل لاستانبول[3].

كان عمل مجلس الإدارة شبيهاً بعمل المجلس البلدي، وتكون من شقية المعينين من قبل الدولة وعددهم ستة أعضاء، دائمين برئاسة الوالي وعضوية القاضي والمفتي الحنفيين ومدير الحرم[4] والدفتردار[5] والمكتوبجي[6]، والمنتخبين من قبل الأهالي وعددهم أربعة أعضاء وهم: شريف مكة المكرمة وأميرها ونائب الحرم[7] وسادن الكعبة المشرفة[8]، وتكون مهمة الجميع النظر والبت في كافة الأمور المالية والإدارية والضبطية والنافعة عدا القضايا – والتي تخص ولاية الحجاز – فتكون من مهام وواجبات مجلس التمييز، كما كان هناك مجلساً خاصاً بالتجارة في جدة مهمته النظر في الأمور

(1) سبق ذكرهم في ص 3

(2) سبق ذكرهم في ص 9

(3) أحمد زيني دحلان، المصدر السابق، ص ص71 – 72.

هورخرونيه، المصدر السابق، ج1، ص311.

حمدة المصعبي، المرجع السابق، ص88.

(4) استحدث المنصب في عام 1252هـ/1833م، ومهمة صاحبه أن ينوب عن شيخ الحرم في حال غيابه أو مرضه أو وفاته في الإشراف على جميع ما يتعلق بأمور الحرم المكي وموظفيه، وله مخصصات مالية قيمة، ويمنح الرتبة الأولى (صنف ثاني)، كما يتولى شؤون الصرة الهمايونية والمخصصات المالية والعينية لتوزيعها على مستحقيها بموجب دفاتر مخصصة لذلك الغرض.

سالنامه ولاية الحجاز، 1303هـ، ص52.

عبدالله منسي، المرجع السابق، ص6.

سلمان المطيري، الإدارة العثمانية في المدينة المنورة (1281 – 1327هـ/1864 – 1909م)، المدينة المنورة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، 1435هـ/2014م، ص151.

(5) أي ممسك الدفاتر، وهي كلمة تتكون من مقطعين دفتر ودار بمعنى القابض على الدفتر، ومهمته الإشراف على الإجراءات المالية والمحاسبية في الولاية، وتطبيق الأنظمة المالية فيها، وكذلك مراقبة المحاسبين ومدراء الأموال ومن ثم تقديم التقارير المالية لوالي الحجاز.

سهيل صابان، المعجم الموسوعي، ص ص113 – 114.

سلمان المطيري، المرجع السابق، ص55.

(6) هو المسؤول عن إدارة قلم التحريرات في الولاية، وهي الإدارة التي تتولى جميع المكاتبات والمراسلات الرسمية للولاية وقيدها والمحافظة عليها.

سلمان المطيري، المرجع السابق، ص55,

(7) لم يكن بمقدور شيخ الحرم المكي النظر في جميع شؤون الحرم وهو مقيم بجدة معظم وقته، لذا كان من الطبيعي أن ينيب عنه من يقوم مقامه من أهالي مكة المكرمة، ومنذ عام 1181هـ/1776م ونيابة الحرم محصورة في عائلة (نائب الحرم) الشهيرة بمكة المكرمة.

محمد طاهر الكردي، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، تحقيق/ د. عبدالملك بن دهيش، مكة المكرمة، مكتبة الأسدي، الطبعة الثالثة، 1425هـ/2004م، ج5، ص306.

(8) هو حامل مفتاح الكعبة المشرفة من آل الشيبي سدنتها وحجابها منذ قبل الإسلام، وقد آثرهم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك يوم فتح مكة المكرمة سنة 8هـ/630م إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

حسين الهاشمي، طبقات حجاب الكعبة، بيروت، مؤسسة الريان، الطبعة الأولى، 1434هـ/2013م، ص ص115 – 118.

التجارية الهامة[1].

لكن الغريب ما ذكره أحد المعاصرين لتلك الأحداث وشاهد عيان على تلك الحقبة[2] من أن الأهالي في الحجاز رفضوا تطبيق نظام الولايات المشار إليه رفضاً باتاً، في حين اعتبره علماء الحجاز مخالفاً للشريعة الإسلامية السمحاء، وعليه فقد لجأ الجميع إلى الشريف عبدالله وأبلغوه بامتعاضهم ورفضهم له، فما كان منه إلا أن اجتمع بوالي الحجاز آنذاك معمر باشا[3] واتفق الرجلان على الرفع بذلك الرفض في كتاب رسمي إلى استانبول[4]، والتي لم يتأخر ردها طويلاً بضرورة وحتمية تطبيقه في كل الأحوال وتحت أي ظروف حيث أثر دخول البرق[5] كخدمة اتصال سريعة في الدولة العثمانية بشكل مباشر على الحجاز كحال غيره من الولايات وأصبح الأمر مختلفاً تماماً عما سبق، فالبرق أكثر سهولة وأسرع زمناً[6].

أما عن علاقة الشريف عبدالله شخصياً وبحكم منصبه بالحرم المكي تحديداً، فقد وصلت إليه التعليمات في عام 1285هـ/ 1868م من استانبول بضرورة الكشف على الكعبة المشرفة وما حولها بعد ظهور تشققات في جهتيها الشرقية والغربية، وعلى الفور قام الشريف عبدالله برفقة كبير السدنة[7] وبعض العلماء والمختصين، وحددوا ما يلزم فعله ورفعوا به إلى استانبول، وسرعان ما صدرت إليه التعليمات بتغيير باب الكعبة المشرفة ورخام المطاف وتغيير قبتي المكتبة المجيدية[8] والموقتخانة[9] توسيعاً لصحن المطاف وغير ذلك من الترميمات الضرورية، وعلى الفور توجه الشريف عبدالله والذي كان مقيماً في الطائف حينها إلى مكة المكرمة، وفي طريقه إليها قام بتأديب بعض أهالي البادية والأشراف

---

[1] هورخرونيه، المصدر السابق، ج1، ص311.

حمده المصعبي، المرجع السابق، ص88.

[2] أحمد بيت المال، المصدر السابق، ج1، ص ص356 – 357.

[3] عمل والياً على الحجاز ما بين عامي (1284-1287هـ/1867-1870م)، وكان كثير التواضع لكنه لم يحسن إدارة الأمور فقدم استقالته من منصبه.

الكردي، المصدر السابق، م4، ص149.

[4] أحمد بيت المال، المصدر السابق، ج1، ص ص356 – 357.

[5] يعود تاريخ دخول البرق إلى الدولة العثمانية إلى عهد السلطان عبدالمجيد الأول الذي أعجب بتشغيله في استانبول وأمر بتعميمه في جميع ولايات الدولة.

أيمن زامل، الأوضاع السياسية والإدارية للمدينة المنورة في عهد السلطان عبدالحميد الثاني (1293-1327هـ/1876-1909م)، جامعة الملك عبدالعزيز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، رسالة دكتوراه، إشراف د. عبدالله منسي، 1435هـ/2014م، ص ص187 – 190.

[6] هورخرونيه، المصدر السابق، ج1، ص310.

[7] هو سادن الكعبة المشرفة، وقد سبق ذكره في ص 16.

[8] كانت تقع بجوار بئر زمزم، شرقي الكعبة المشرفة باتجاه جبل الصفا.

محمد الأمين المكي، المصدر السابق، ص25.

[9] هي ساعات مختلفة الأشكال والارتفاع والعيار لضبط الوقت خاصة مواقيت الصلاة، وكان موضعها في الجهة الشرقية من الكعبة المشرفة بجوار بئر زمزم.

الكردي، المصدر السابق، م5، ص ص333 – 334.

من قطاعي الطرق وردعهم عن أعمالهم المشينة تلك، وبعد وصوله إلى مكة المكرمة وقف مع كبار العلماء والمختصين للأشراف على الأعمال المطلوبة وأنجزها على أكمل وجه[1].

أما عن استخدام الشريف عبدالله لصلاحيات منصبه، فقد قام بعدد من التعيينات على مستوى كبار المسؤولين في مكة المكرمة، يذكر من ذلك على سبيل المثال تعيين الشيخ عبدالرحمن سرّاج[2] مفتياً للأحناف في أواخر عام 1284هـ/ 1867م خلفاً للشيخ جمال شيخ عمر[3] بحضور العلماء والأعيان، وبالتزامن مع ذلك وبعد محاولات مضنية من قبل الشريف عبدالله في إقناع السيد أحمد زيني دحلان[4] مفتي الشافعية بمكة المكرمة في تولي منصب رئيس علمائها[5] – حيث كانت العلاقة حميمة بينهما – اقتنع بذلك فأمر الشريف عبدالله مباشرة بتعيينه رسمياً فيه[6]، وقد تراوحت أعباء ذلك المنصب بين المصادقة بصورة شرعية على قرارات تختص بتجارة الرقيق على سبيل المثال، أو تحريم بعض الممارسات، أو دحض بعض البدع والعادات السيئة في المجتمع الحجازي عموماً والمكي خصوصاً[7]، كما قام الشريف عبدالله بتقليد السيد عثمان نائب الحرم نيابة الحرم المكي الشريف[8]، وأعطى الفراشة للسيد إبراهيم نائب الحرم وجعل وكيله إلى أن يكبر السيد أحمد نائب الحرم، وكتب بذلك كتاباً إلى السلطان عبدالعزيز[9] بعد مهره من جميع العلماء والأعيان، أيضاً ولى

---

[1] أحمد بيت المال، المصدر السابق، ج1، ص327/328/374/375.

النص موجود في مراسلات الباب العالي إلى ولاية الحجاز، انظر:

الأرشيف العثماني، مراسلات الباب العالي إلى ولاية الحجاز (مكة المكرمة والمدينة المنورة) في الفترة من 1283-1291هـ، ترجمة وتعليق د. سهيل صابان، الرياض، مؤسسة الفرقان، 1425هـ/2004م، ص ص207 – 210.

[2] وُلد بمكة المكرمة سنة 1249هـ/1833م، حفظ القرآن الكريم وكثير من المتون، درس على أيدي كبار علماء مكة المكرمة في عصره أمثال السيد أحمد زيني دحلان والشيخ رحمة الله الهندي، وكان عارفاً بالفقه خبيراً بأحكامه وقواعده مطلعاً على نصوصه، عليه مهابة العلم والفضل واستعفى عن الإفتاء في ولاية الشريف عبدالمطلب سنة 1299هـ/1881م، توفي بمصر في عام 1314هـ/1896م.

عبدالله غازي، المصدر السابق، ص ص450 – 451.

[3] هو جمال بن عبدالله بن شيخ عمر الحنفي المكي، شيخ الإسلام ومفتي بلد الله الحرام، ولد بمكة المكرمة قرأ العلوم على الشيخ صديق كمال والسيد يحيى مؤذن والشيخ عبدالله سراج والذي ما أن توفي حتى تولى بعده وظيفة مشيخة العلماء بمكة ثم أضيف إليه إفتاؤها بعد وفاة السيد محمد حسين كتبي، كان عالماً عاملاً ورعاً فاضلاً وجيهاً محترماً صداعاً بالحق، من مؤلفاته: "الفتاوى الجمالية" توفي في أواخر عام 1284هـ/1867م بمكة المكرمة ودفن بالمعلاة.

عبدالله غازي، المصدر السابق، ص ص339 – 340.

[4] سبقت ترجمته في ص 5

[5] جرت العادة على أن يكون رئيس أو شيخ العلماء بمكة المكرمة هو مفتي الأحناف بها، بحكم أن المذهب الحنفي هو المذهب الرسمي للدولة، ويكون هو المفتي الأول بين بقية المفتين، ولكن وفي حالات استثنائية يكون رئيس أو شيخ العلماء غير المفتي الحنفي كما حدث مع السيد أحمد زيني دحلان.

[6] أحمد بيت المال، المصدر السابق، ج1، ص315.

[7] أحمد بيت المال، المصدر السابق، ج1، ص315.

أحمد زيني دحلان، المصدر السابق، ص84.

[8] سبق ذكرها في ص 16

[9] سبقت ترجمته في ص 15

الشريف عبدالله على حسبة[1] مكة المكرمة الشيخ عبدالرحمن العجمي برغم رفضها لها، وأخيراً قام الشريف عبدالله بعزل شيخ المطوفين السيد عبدالرحمن العلوي وولى بدلاً عنه الشيخ حسين قنق، كما عزل نقيب جده حسين أبو السنون وولى بدلاً عنه عبدالله بنقش، وعزل نقيب الشبيكة[2] يحيى الكردي وولى بدلاً عنه السيد سالم بصمجي المؤذن[3].

وفيما يخص الحياة العامة للمجتمع المكي زمن الشريف عبدالله، فقد أمر بنقل كل من المجزرة ومصانع الفخار وحلقة الخضار والفواكه من منطقتي الجودرية[4] وشعب علي (بني هاشم)[5] الملاصقتين للحرم المكي الشريف وسط البيوت والعمران إلى الحجون[6] والمعابدة[7] والمعلاة[8] على التوالي، والتي كانت خارج حدود العمران ويكون بقراره ذلك قد جنّب الأهالي الكثير من التلوث والأذى الناتج عن روائح بقايا الحيوانات المذبوحة وأدخنة المحارق وأفران الفخار[9].

كما قام الشريف عبدالله بترميم عين زبيدة[10] في عام 1291هـ/ 1874م بعد أن شحّ ماؤها وزاد ثمن الماء لدرجة أثقلت كاهل الأهالي والحجاج والزوار، حيث أمر بتكوين لجنة مختصة لمعالجة تلك

---

[1] الحسبة في الإسلام هي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين.
أنور الرفاعي، الإسلام في حضارته ونظمه، دمشق، دار الفكر، الطبعة السادسة 1434هـ/2013م، ص184.

[2] من أحياء مكة المكرمة العريقة، ينسب إلى بئر وقيل إلى رجل كان يدعى شبيكة الحسني، وقيل نسبة لوقوع اشتباكات كبيرة به، يقع غربي الحرم المكي على سفح جبل قعيقعان، وفيه مقبرة الأحلاف لأنها اختصت بدفن بني عبدالدار وبني مخزوم وحلفاؤهم، ومنذ أكثر من قرن من الزمان منع الدفن فيها وأحيطت بسور.
فوزي ساعاتي، المرجع السابق، ص ص35 – 36.

[3] أحمد بيت المال، المصدر السابق، ج1، ص382/316/312.
أحمد زيني دحلان، المصدر السابق، ص84.

[4] سوق عامة بمكة المكرمة، يصل شارعها بين بطحاء مكة والحرم.
عاتق البلادي، المرجع السابق، ج2، ص383.

[5] هو الشعب الذي أوى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنو هاشم لما تحالفت قريش على بني هاشم، وكان في الأصل لعبدالمطلب فقسمه بين أبنائه، وكان منزلاً لبني هاشم ومسكناً لهم، وقد عُرف فيما بعد بشعب علي، وهو الشعب الذي يسيل بطرف جبل أبي قبيس من الشمال بينه وبين جبل خندمة، وكان فيه مولد النبي صلى الله عليه وسلم.
عاتق البلادي، المرجع السابق، ج5، ص914.

[6] هو الجبل المشرف على ما يُعرف اليوم بربع الحجون من الشمال الشرقي، ويقع بأعلى مكة المكرمة، وبه مقبر ةالمعلاة المشهورة.
عاتق البلادي، المرجع السابق، ج2، ص ص418 – 419.

[7] عُرف قديماً بالأبطح، وهو حي يقع شمال الحرم المكي، ويشمل حالياً عدة أحياء منها الملاوي والخانسة.
عاتق البلادي، المرجع السابق، ج8، ص1617.

[8] سبق ذكره في ص 13.

[9] أحمد بيت المال، المصدر السابق، ج1، ص ص240 – 242.

[10] تُنسب هذه العين إلى السيدة زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور، وزوجة هارون الرشيد وأم ابنه محمد الأمين، عرفت بعطائها السخي، ومن آثارها الخالدة أنها أجرت بمكة المكرمة مجرى دافقاً بالماء لراحة أهالي مكة المكرمة وحجاج بيت الله من عناء العطش في شدة الحر.
جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، بيروت، دار الفكر، ص281.

الأزمة، أيضاً أمر الشريف عبدالله بتسقيف سويقة[1] والمدعي[2]، ومنع بيع الرقيق في مكة المكرمة، كما كان يشرف شخصياً على توزيع الصرة[3] القادمة إلى أهالي الحرمين الشريفين سواء من القاهرة أو من دمشق أو استانبول وغيرها، وفي سبيل تنظيم ذلك ولتشجيع من يرسلها على الحرص عليها والاهتمام بها أمر الشريف عبدالله بتكوين مجلس خاص بالصدقات وهو أشبه ما يكون ببيت مال الصدقة، وعين له ثلاثاً وثلاثين من أعيان أهالي مكة المكرمة، يحضر إليه خمسة منهم في كل يوم، وفرض لهم الخمس منها، وجعل مقره ملاصقاً لباب النبي[4] في الحرم المكي الشريف[5].

وسعياً من الشريف عبدالله على راحة حجاج بيت الله الحرام فقد أمر بصنع خمسة عشر عربة لحمل الحجاج وما يخصهم من وإلى جدة، كما حدد أجرة إيجار الجمل للجمالين[6] من قبيلة حرب[7] بعشرين ريالاً والشقدف[8] باثنين وعشرين ريالاً[9].

[1] يقع سوق سويقة في شمال شرق الحرم المكي، وهو قريب جداً من المروة.
فوزي ساعاتي، المرجع السابق، ص30.

[2] مكان مرتفع بأعلى مكة المكرمة في شمال شرق الحرم المكي، وهو قريب جداً من المروة.
فوزي ساعاتي، المرجع السابق، ص42.

[3] كلمة عربية تعني كيس النقود، وكانت تستخدم بمعنى هدية، حيث اعتاد السلاطين العثمانيين أن يرسلوا مبالغ ضخمة بمسمى الصرة في كل عام إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة لتوزيعها على المستحقين فيهما، ويعين عليها رجل مسؤول يسمي أمين الصرة.
محمد الأمين مكي، المصدر السابق، ص12.

[4] يقع في الجهة الشمالية الشرقية للحرم المكي، وعلى الرغم من أن الخليفة العباسي المهدي هو من أوجده في عمارته للحرم المكي ولم يكن موجوداً في العصر النبوي، إلا أنه عرف بهذا المسمى كون النبي صلى الله عليه وسلم كان يدخل إلى المسجد الحرام منه ويخرج من جهته إلى دار السيدة خديجة رضي الله عنها حيث كان يسكن.
حسين باسلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام بما احتوى من مقام إبراهيم وبئر زمزم والمنبر وغير ذلك، جدة، تهامة، الطبعة الرابعة، 1405هـ/ 1984م، ص ص116 – 117.

[5] أحمد بيت المال، المصدر السابق، ج1، ص517/483/482/440/220/196/195.

[6] جمع جمّال، والجمّال هو من يقوّم الجمال لأغراض الحج دون أن يكون له أي تدخل مباشر بنقل الحجاج أنفسهم.
أيمن زامل، المرجع السابق، ص77.

[7] قبيلة عظيمة الشأن، من أشهر قبائل الحجاز وأطراف نجد الغربية، تعود في أصولها إلى قحطان وربيعة ومضر، وتتألف من قسمين رئيسيين هما بنو مسروح وبنو سالم، وتتواجد بشكل كبير بين مكة المكرمة والمدينة المنورة.
مجموعة من الباحثين، معجم البلدان والقبائل، م2، ص369.

[8] عبارة عن مجموعة من الأعواد الخشبية تلتف بطريقة متشابكة، ثم تُكسى بقماش من صوف الإبل أو الغنم، ويتكون من جزئين متقابلين يوضعان فوق ظهر البعير، وله قاعدة خشبية تفرش بالبسط والمخاد والألحفة بحيث يمكن لشخصين النوم فيها.
أيمن زامل، المرجع السابق، ص78.

[9] أحمد بيت المال، المرجع السابق، ج1، ص345/344/186.

وفي عهد الشريف عبدالله أيضاً وتحديداً في عام 1288هـ/ 1871م، جاء بعض الحجاج الهنود بمطبعة في مكة المكرمة، وجهز رجل يسمى علي مختار مقراً لها وبدأ في طباعة بعض الكتب والرسائل[1]، كما أُنشئت في عهد الشريف عبدالله أول مدرسة نظامية في مكة المكرمة عام 1293هـ/ 1876م وهي المدرسة الصولتية[2] في حي الشبيكة[3].

- أعماله العسكرية:

أما على الصعيد العسكري وما هو خارج حدود مكة المكرمة فقد خرج الشريف عبدالله – وهو المتمرس على القتال والحروب قبل توليه الشرافة – من الطائف في عام 1279هـ/ 1862م على رأس جيش قدر بنحو خمسة آلاف مقاتل منهم ألفين من عتيبة[4] وألف من بادية الطائف وخمسمئة من قوات النظام ومثلهم من عساكر بيشة[5] ومثلهم أيضاً من الخيالة[6]، ومئتان من الأشراف ومثلهم من الأرناؤوط[7]، وتوجه بهم جميعاً نحو بلاد غامد[8] وزهران[9] لتحالف أهلها مع حاكم عسير[10] المتمرد محمد بن عائض[11] الذي خرج على طاعة الدولة[12].

وفي عام 1282هـ/ 1865م عزم الشريف عبدالله على السير نحو عسير مجدداً من أجل قتال

---

[1] أحمد بيت المال، المصدر السابق، ج1، ص400.

[2] تأسست على يد الشيخ محمد رحمة الله الهندي وبدعم سخي من السيدة صولت النساء وهي من محسنات الهند، وتكريماً له أنعم عليه السلطان بالخلعة السلطانية والوسام المجيدي.

أحمد السباعي، تاريخ مكة، مكة المكرمة، مطابع الصفا، الطبعة الثامنة، 1420هـ/1999م، م2، ص ص580 – 581.

أريج القثامي، المرجع السابق، ص230.

[3] سبق ذكره في ص 19.

[4] من أكبر قبائل العرب عدداً، لا يكاد ينازعها أحد السلطة في القسم المتوسط من شبه الجزيرة العربية، وتنقسم إلى بطنين كبيرين هما الروقة وبرقة، ولكل منها أفخاذ وعشائر عديدة.

عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة، 1414هـ/1994م، ج2، ص752.

[5] هي عساكر غير نظامية تتبع شريف مكة المكرمة وأميرها، ويسكنون عادة في أعالي مكة المكرمة في المنطقة المعروفة حالياً باسم المعابدة.

محمد الأمين المكي، المصدر السابق، ص354.

[6] هم المقاتلون على ظهور الخيول.

[7] قوم شديدو المراس، عُرف عنهم شدة البطش والاستعداد الدائم للحرب والقتال بدناً وعقلاً، لكنهم لم تثبت لهم دولة مستقلة بل ظلوا عرضة للغزاة والطامعين، يسكنون في منطقة البلقان بجنوب شرق أوروبا.

محمد الأمين المكي، المصدر السابق، ص389.

[8] منطقة قبلية في شمال عسير يمر من خلالها طريق الحج اليمني، ويحدها من الشمال الغربي بلاد ثقيف ومن الغرب بلاد زهران، ومن الجنوب الشرقي شمران، وتمتد نحو الشمال الشرقي بحيث تلامس سهول سبيع.

مجموعة من الباحثين، معجم البلدان والقبائل، م7، ص461.

[9] تقع في شمال عسير أيضاً، يحدها من الشمال بلاد بنو مالك وبنو الحارث، ومن الشرق والجنوب بلاد غامد، ومن الجنوب الغربي بنو زيد، ومن الغرب ذوو بركات، انضموا إلى حاكم عسير في قتاله ضد الأتراك وشريف مكة.

مجموعة من الباحثين، معجم البلدان والقبائل، م7، ص11.

[10] سبق ذكرها في ص 4.

[11] سبقت ترجمته في ص 4.

[12] أحمد بيت المال، المصدر السابق، ج1، ص ص63 – 64.

حاكمها المتمرد محمد بن عائض لخروجه على طاعة الدولة، فرميت له المدافع بعد صلاة العصر وخرج الكثير من الأهالي إلى بركة ماجل[1] بأطراف المسفلة[2] لموادعته، والبعض منهم واصل سيره معه إلى الحسينية[3]، وفيها لحقت بالشريف عبدالله خزانته المليئة بالأموال والأسلحة والعتاد والتي وصل بها سعيد أغا مع بعض العساكر، ومن الحسينية سار الشريف عبدالله إلى مقصده على رأس جمع الأشراف وعساكر بيشة[4] وانضم إليه من الطائف أخوه الشريف حسين[5] والعساكر النظامية وقوة من العربان[6].

وبعد أيام قليلة من مسير الشريف عبدالله وصلت العساكر المصرية بحراً إلى جدة وعددهم حوالي 800 فرد بكامل أسلحتهم ومدافعهم للانضمام إليه في قتاله لحاكم عسير[7]، لكن الغريب هنا سرعة مطالبة الخديوي إسماعيل باشا[8] بإعادة أولئك العساكر على وجه السرعة، وهو ما تزامن مع وصول الشريف عبدالله إلى القنفذة[9] واقترابه من مواجهة حاكم عسير المتمرد والذي بدوره أوفد بعض كبار وجهاء وأعيان عسير للتفاوض مع الشريف وإقناعه بالصلح، فكان انسحاب العساكر المصرية من أبرز أسباب قبول الشريف للصلح والذي التزم حاكم عسير بموجبه بدفع مبلغ عشرة آلاف ريال سنوياً

---

[1] تقع بحي المسفلة جنوب الحرم المكي عند باب مكة المعروف باسم باب الماجني، أُنشئت منذ زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد، وكان بجوارها بستان للشريف علي بن عبدالله يسقى منها، وقد هدمت في أواخر القرن 14هـ لشق مجموعة من الأنفاق هناك.

محمد الأمين المكي، المصدر السابق، ص280.

[2] من أكبر وأشهر أحياء مكة المكرمة الجنوبية، ويقع في غرب وجنوب الحرم المكي.

فوزي ساعاتي، المرجع السابق، ص69.

[3] عين جنوب منى على بعد 12 كيلو، بها زراعة لملاكها ذوو زيد الأشراف، وهي في وادي عرنة قبيل اجتماعه بنعمان.

عاتق البلادي، المرجع السابق، ج3، ص470.

[4] سبق ذكرهم في ص 22.

[5] هو الشريف حسين باشا بن محمد بن عبدالمعين بن عون، كلف لعضوية مجلس شورى الدولة في شعبان 1291هـ/ سبتمبر 1874م، تولى إمارة مكة المكرمة عقب وفاة أخيه الشريف عبدالله وبقي فيها لمدة ثلاث سنوات (1294-1297هـ/ 1877-1880م)، حيث اغتيل أثناء دخوله إلى جدة على يد شخص أفغاني، وكان عمره آنذاك 40سنة.

إسماعيل حقي جارشلي، المرجع السابق، ص ص224 – 225.

[6] أحمد بيت المال، المصدر السابق، ج1، ص ص224 – 225.

أحمد زيني دحلان، المصدر السابق، ص ص53 – 54.

[7] سبقت ترجمته في ص 4

[8] هو إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي باشا، حفيد مؤسس حكم الأسرة العلوية في مصر، ولد في القاهرة عام 1245هـ/1830م، تولى حكم مصر في عام 1279هـ/1863م وهو أول من أطلق عليه لقب "الخديوي" من رجال أسرته، كان مولعاً ببناء المدن وتنظيمها، وفي أيامه أوصلت أسلاك البرق وسكك الحديد إلى السودان وبنيت مدينة الإسماعيلية بعد افتتاحه لقناة السويس في عام 1286هـ/1869م وأنشأ المتحف المصري والمكتبة الخديوية وأنشأ حكومة دستورية وقبل بالمراقبة الأجنبية لمالية مصر، تم عزله عن الحكم في عام 1296هـ/1879م.

الزركلي، المصدر السابق، ج1، ص308.

[9] تقع على ساحل البحر الأحمر غربي أبها وكلاهما يتبعان عسير، وتعتبر القنفذة الميناء الرئيسي لعسير.

محمد الأمين المكي، المصدر السابق، ص305.

للشريف مقابل ضمه بيشة[1] إلى حكمه وأن يدعو للسلطان العثماني على منابر عسير في خطب الجمعة والأعياد، فعاد الشريف ومن معه إلى مكة المكرمة عن طريق بلاد غامد[2] وزهران[3]، وما أن وصل إلى مكة المكرمة عن طريق كرا[4] إلا وقد خرج لاستقباله جمع من العساكر النظامية وعساكر بيشة[5] والخيالة[6] وجمع من الأهالي ورميت المدافع احتفاءً بما اعتبروه نصراً مظفراً، وقيلت فيه مجموعة كبيرة من القصائد يذكر منها على سبيل المثال:

نجـل ابن عون أخو عون أبو شـــرف صـــنو الحســين أخو ســلطان ثم علي

في الســـلم غيـث عطـاء للأنـام غـدا وفي الوغى ليـث غـاب للعـداة يلي

صـــيرت حرب عســير مذ رحلت اليهم من تحـت أمرك منقـادين بـالجُمـل

قد جـاء بـالنصـــر عبـدالله ســـيدنـا الســـعـد إقبـالـه لازال في الـدول[7]

وبعد ما يقرب من خمس سنوات نقض حاكم عسير[8] المتمرد محمد بن عائض[9] ومن جديد صلحه مع الدولة العثمانية ممثلة في رجلها القوي في المنطقة الشريف عبدالله وتجاوز حدود منطقته شمالاً

---

[1] سبق ذكرها في ص 9

[2] سبق ذكرها في ص 22

[3] سبق ذكرها في ص 22

[4] جبل ضخم على طريق مكة المكرمة – الطائف، تسيل منه صدور وادي نعمان، كان طريقاً غاية في الصعوبة، لا تصعده سوى الجمال والحمير المدربة، وفي عام 1385هـ/1964م افتتح طريقاً للسيارات.
عاتق البلادي، المرجع السابق، ج7، ص1436.

[5] سبق ذكرهم في ص 22

[6] سبق ذكرهم في ص 22

[7] أحمد بيت المال، المصدر السابق، ج1، ص216/ 218/ 221 – 232.
هورخرونيه، المصدر السابق، ج1، ص382.
عبدالفتاح راوه، المرجع السابق، ص384.

[8] سبق ذكرها في ص 4

[9] سبقت ترجمته في ص 4

وجنوباً، حيث توجه إلى الحديدة[1] والمخا[2] في اليمن جنوباً وحاصرهما فجاءت الأوامر سريعة من استانبول إلى الشريف عبدالله بأن يسير إليه بقوات كافية ورادعة لرفع ذلك الحصار، وبالفعل وجه الشريف عبدالله أخاه عبداله[3] لتلك المهمة، وكان الوالي العثماني في اليمن[4] قد حصن الحديدة وملأ صهاريجها[5] بالماء ورمى المحاصرين بالمدافع والبنادق من كل جهة فمات منهم حوالي ألف وتصوب مثلهم وعاد الجميع إلى عسير مهزومين مخذولين، وهنا حاول ابن عائض أن يحقق انتصاراً ولو جزئياً لرفع الروح المعنوية لرجاله فاستولى على بلاد غامد[6] وزهران[7] وبني شهر[8] شمال عسير، فما كان من الدولة إلا أن ضيقت عليه الخناق وأرسلت إليه الفريق رديف باشا[9] من جدة إلى القنفذة[10] بحراً وأنزل به هزيمة قاسية أيضاً، ونجحت القوات العثمانية في استعادة ثلاث قلاع من قلاع المتمرد ابن عائض في عسير، واستولت على ذخيرته وحرقت خزانة سلاحه مما اضطره إلى الانسحاب إلى ريدة[11]

[1] يقع لواء الحديدة على ساحل البحر الأحمر متشكل تهامة اليمن، ويتبع له تسعة أقضية هي مدينة الحديدة وبيت فقيه وزبيد وزيدية وأبو عريش وباجل والجحور وجبل ريمة.

محمد الأمين المكي، المصدر السابق، ص263.

[2] مدينة مشهورة على ساحل البحر الأحمر غربي مدينة تعز وجنوب شرقي الحديدة، كانت الميناء الرئيسي لليمن في تجارة البن، وكان يسكنها تجار أغنياء من اليمنيين والهنود، وقد أخذ من اسمها الأوروبيون اسم أفخر أنواع البن عندهم (MOKA).

مجموعة من الباحثين، معجم البلدان والقبائل، م9، ص ص230 – 232.

[3] هو الابن الأصغر للشريف محمد بن عبدالمعين بن عون، ولد في عام 1261هـ/ 1845م، وعين أميراً على مكة المكرمة وكالة في عام 1299هـ/1882م من قبل والي الحجاز عثمان نوري باشا، لكن الموافقة لم تأت من استانبول بتعيينه أصالة، فعين أخوه الأكبر الشريف عون الرفيق، وبعد إعلان المشروطية الثانية في عام 1326هـ/1908م تم تعيين الشريف عبداله أميراً على مكة المكرمة لكنه توفي فجأة قبل سفره إليها من استانبول.

إسماعيل حقي جارشلي، المرجع السابق، ص227.

[4] هو أحمد مختار باشا، من كبار القادة العثمانيين، تعلم باستانبول وتنقل في أعمال إدارية وعسكرية عدة في الحجاز واليمن ومصر، وأصبح والياً على اليمن وقام ببعض الإصلاحات العسكرية والإدارية فيها، وله بعض التقارير واللوائح التي تحدث فيها عن تلك الإصلاحات.

سهيل صبان، مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية، ص16.

[5] جمع صهريج، والصهريج خزان للمياه مسقوف يُبنى بالآجر أو الحجر تحت الأرض ويمكن النزول إلى قاعه لتنظيفه وتطهيره بواسطة درج.

محمد الأمين المكي، المصدر السابق، ص307.

[6] سبق ذكرها في ص 22

[7] سبق ذكرها في ص 22

[8] سبق ذكرها في ص 9

[9] هو قائد عسكري عثماني تمتع بفكر عسكري عالٍ، تولى ولاية الحجاز لبضعة أشهر في عام 1287هـ/1870م، قُتل في عسير عام 1288هـ/1871م على يد أميرها محمد بن عائض، والغريب أن ذلك تم بعد انتصار رديف باشا على ابن عائض وأسره، فقام الأخير باغتياله غدراً.

عارف عبدالغني، تاريخ أمراء المدينة المنورة (1-1417هـ)، دمشق، دار كنان، 1417هـ/1996م، ج1، ص519.

[10] سبق ذكرها في ص 24

[11] قرية في أبها بمنطقة عسير، تقع على ارتفاع 1600م فوق مستوى سطح البحر، ترتبط مع طريق الطائف – أبها – جازان الرئيسي بدرب جبلي.

مجموعة من الباحثين، معجم البلدان والقبائل، م4، ص189.

في الأغوار الغربية وتحصن بها، ولكن بعد فترة وجيزة تم الظفر به وجيء برأسه إلى جدة مع ما يقرب من 400 أسير وتم إرسالهم جميعاً إلى استانبول، وبهذه الروح المعنوية العالية نجحت قوات الدولة أيضاً في استعادة صنعاء تباعاً في عام 1289هـ/ 1872م، وهو ما يعرف في التاريخ الحديث بالفتح العثماني الثاني لليمن، فأمر الشريف عبدالله بأن ترمى المدافع في مكة ابتهاجاً بتلك المناسبة، حيث اجتمعت العساكر النظامية في القلاع[1] ودعوا للسلطان العثماني ونادى المنادي بأن تزين الأسواق ثلاثة أيام[2].

لم يقتصر الميدان العسكري للشريف عبدالله على عسير[3] جنوب مكة المكرمة فحسب، بل امتد إلى الشرق أيضاً، حيث خرج في أواخر عام 1284هـ/ 1867م ومعه جمع من الأشراف والعساكر بغرض تأديب بعضاً من قبيلة مطير[4] الذين أغاروا على بعض أهالي البادية ونهبوا متاعهم وقتلوا منهم سبعة رجال وامرأة، فلما وصل إلى الشرائع[5] علم بأن المطلوبين قد فروا هاربين فعاد إلى مكة المكرمة[6]، وبعد عدة أشهر توجه الشريف عبدالله أيضاً من الطائف لتأديب بعضاً من قبيلة سبيع[7] وأعادهم إلى الطاعة وغنم منهم غنائم وفيرة[8]، وأخيراً أشرف الشريف عبدالله على السفن القادمة إلى جدة والمحملة بالمدافع والبنادق من استانبول في طريقها إلى إقليم آشي[9] في إندونيسيا من أجل مساعدة

[1] جمع قلعة، وهي المكان المحصن في المدينة، يستعمل للدفاع عن سكانها عند الحاجة، كما تطلق على مجموع الاستحكامات المشيدة في أعالي المدينة.

محمد الأمين المكي، المصدر السابق، ص275.

[2] أحمد بيت المال، المصدر السابق، ج1، ص386/387/397/399/418.

أحمد زيني دحلان، المصدر السابق، ص56.

هورخرونيه، المصدر السابق، ج1، ص313.

عبدالفتاح راوه، المرجع السابق، ص385.

[3] سبق ذكرها في ص 4

[4] من كبريات قبائل الجزيرة العربية في العصر الحديث، وهي ذات فروع وبطون متعددة، كانت ديارها سفوح حرة الحجاز الشرقية ممتدة بين المدينة المنورة وعقيق عشيرة، وتنقسم مطير إلى علوة وبرية.

محمد الأمين المكي، المصدر السابق، ص384.

[5] عين بوادي حنين على بعد 28 كيلو عن الحرم المكي، نسب الوادي إليها فسمي وادي الشرائع، وهي ملك للأشراف ومنها تفضي إلى المغمس غرباً.

عاتق البلادي، المرجع السابق، ج5، ص893.

[6] أحمد بيت المال، المصدر السابق، ج1، ص318.

أحمد زيني دحلان، المصدر السابق، ص54.

هورخرونيه، المصدر السابق، ج1، ص313.

[7] قبيلة عامرية صريحة النسب من بني عامر بن صعصعة، من أهم قبائل نجد، ينتشر أفرادها في الدوادمي والوشم وتربة والخرمة وغيرها.

مجموعة من الباحثين، معجم البلدان والقبائل، م4، ص292.

[8] أحمد بيت المال، المصدر السابق، ج1، ص330/ 340

عبدالفتاح راوه، المرجع السابق، ص384.

[9] الصحيح هو آتشيه، يقع في أقصى شمال جزيرة سومطرة الإندونيسية الواقعة في غرب إندونيسيا، حيث كان منطلقاً لانتشار الإسلام في تلك المناطق.

الأهالي هناك على مقاومة الاحتلال الهولندي[1].

وقبيل وفاته استحسن الشريف عبدالله في مطلع عام 1294هـ/ 1877م تعليم أهالي مكة المكرمة كيفية استخدام السلاح من غير إكراه ليكونوا على أتم استعداد من أجل مساندة الدولة – في حال طلبها – في حربها ضد روسيا[2]، واجتمع بالوجهاء والأعيان وعرض عليهم فكرته تلك فوافقه الجميع الرأي واستمر التعليم نحو أربعة أشهر، وكان لباس المتدربين فيه قميصاً وبنطلوناً وصمادة وعقالاً[3]، وعند التخرج أقيم ما يشبه العرض العسكري في منطقة المعلاة[4]، فرمى العساكر الشاهانية[5] بالمدافع والبنادق وسط ابتهاج الشريف عبدالله ومن معه من كبار المسؤولين[6].

فكره الديني:

أما عن الناحية الدينية في مكة المكرمة زمن الشريف عبدالله فقد تكرس التسامح الديني أكثر فأكثر، حيث اتصف الشريف عبدالله شخصياً بالمرونة في النقاش والتعامل خاصة مع الأجانب وهي صفة غالباً ما تميز بها العبادلة[7] عن ذوي زيد[8]، إضافة إلى تقريبه لعلماء الدين أمثال السيد أحمد زيني دحلان[9]، ووجاهته القوية في التعامل مع الأهالي سواء من البادية أو الحاضرة على حدٍ سواء[10].

وليس أدل على ذلك التسامح وتلك المرونة ولين الجانب مع العلماء وتشجيعه لهم ولطلابهم من أمره بتعميم رسالة علمية دينية على المذهب الشافعي بعنوان: التذكرة النافعة والرسالة الجامعة" للسيد أحمد الحبشي العلوي على حلقات العلم وطلابها في جميع نواحي مكة المكرمة وضواحيها، حيث اشتملت على توحيد في أولها وفقه في وسطها وتصوف في آخرها، وقد أضاف إلى وسطها مفتي الأحناف فقه الإمام أبو حنيفة وأصبحت رسالة حنفية وتبعه كل من مفتي المالكية ومفتي الحنابلة، وأصبحت رسالة

لاروس، المرجع السابق، ص41.

[1] أحمد بيت المال، ا لمصدر السابق، ج1، ص541.

[2] خاض العثمانيون والروس حروباً عدة منذ القرن 10هـ/16م وعلى مدى عشرات السنوات تخللتها عدة معاهدات من أهمها بوخارست وقينارجة وأدرنة وسان ستيفانوس وفي زمن الشريف عبدالله اتخذت روسيا من تحريض الصرب وغيرهم من مسيحي البلقان وسيلة لاستنزاف الدولة العثمانية. للتفصيل أكثر انظر:

على حسون، العثمانيون والروس، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1402هـ/1982م.

[3] أحمد بيت المال، المصدر السابق، ج1، ص510.

أحمد زيني دحلان، المصدر السابق، ص58.

عبدالفتاح راوه، المرجع السابق، ص385.

[4] سبق ذكرها في ص 13

[5] بمعنى العساكر النظامية التابعة للجيش العثماني.

[6] أحمد بيت المال، المصدر السابق، ج1، ص ص513 – 514.

[7] سبق ذكرهم في ص 3

[8] سبق ذكرهم في ص 9

[9] سبقت ترجمته في ص 5

[10] هورخرونيه، المصدر السابق، ج1، ص ص309 – 312.

شاملة جامعة أرسلت إلى مصر في عام 1281هـ/ 1864م لطباعتها وطبعت منها 1800 نسخة لكل مذهب من المذاهب الأربعة، وقد أقبل الناس على دراستها وحفظها خاصة بعد شرحها، حيث شرح الرسالة الحنفية الشيخ حسن عرب[1] وآخرون، في حين شرح الرسالة المالكية الشيخ عبدالقادر مشاط[2]، وشرح الرسالة الشافعية الشيخ محمد بابصيل[3]، كما أ مر الشريف عبدالله شيوخ الكتاتيب[4] بأن يحضروا تلاميذهم الصغار إلى مجلسه ليسمّعوا ما حفظوه أمامه، وكان كلما قرأ واحد منهم أعطاه عشرة قروش[5] كمكافأة له وتشجيعاً على تحصيل المزيد من العلم[6].

وكان من عادة الشريف عبدالله عرض ما يُختلف فيه من المسائل الفقهية على العلماء ويقر ما يقرونه ويأمر بالعمل به، فقد حدث وأن استفتى البعض من الأهالي الشيخ عبدالرحمن سرّاج[7] حول انتظار بعض المعزين للطعام من قبل أهل الميت، فأجابهم بمثوبة ولي الأمر إذا منع مثل ذلك، موضحاً أنه يستحب لجيران الميت وأقاربه وخلانه تهيئة الطعام لمن أراده، لقوله ~: "اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد جاءهم ما يشغلهم"[8]، وقد أيده في ذلك مجموعة كبيرة من العلماء منهم السيد أحمد زيني دحلان[9]،

(1) هو حسن بن إبراهيم عرب الحنفي المكي، ولد بمكة المكرمة ونشأ بها، حفظ القرآن الكريم وشرع في طلب العلم الشرعي على أيدي مجموعة من علمائها أمثال السيد محمد الكتبي والشيخ محمد الفاسي، درّس بالحرم المكي وأمّ المصلين به في التراويح، توفي بمكة المكرمة عام 1310هـ/1892م ودفن بالمعلاة.

عبدالله غازي، المصدر السابق، ص ص436 – 437.

(2) هو عبدالقادر مشاط بن علي، ولد بمكة المكرمة عام 1248هـ/1833م ونشأ بها، حفظ القرآن الكريم وتفقه على المذهب المالكي، رحل إلى مصر وقرأ بالجامع الأزهر ثم عاد إلى مكة المكرمة ولازم الدروس بالحرم المكي، كان يلقب بشيخ التجار لتسويته أمورهم وإصلاح شؤونهم، توفي بمكة المكرمة سنة 1302هـ/1884م ودفن بالمعلاة.

عبدالله غازي، المصدر السابق، ص ص478 – 479.

(3) هو محمد سعيد بابصيل الحضرمي الشافعي المكي، ولد بمكة المكرمة سنة 1245هـ/1829م، ولازم دروس السيد أحمد زيني دحلان، ودرّس بالحرم المكي، تولى إفتاء الشافعية بعد شيخه السيد أحمد زيني دحلان، وأصبح شيخ العلماء بمكة المكرمة، توفي بها سنة 1330هـ/1912م ودُفن بالمعلاة.

عبدالله غازي، المصدر السابق، ص ص586 – 587.

(4) جمع كُتّاب، وهو المكان المخصص لتعليم الصبيان الصغار مبادئ القراءة والكتابة وشيئاً من علوم الدين واللغة العربية والحساب، ويعد الكتّاب من المؤسسات التعليمية الهامة التي وجدت في المجتمع الإسلامي من أجل تثقيف الصغار وتربيتهم التربية الإسلامية الصحيحة.

محمد الأمين المكي، المصدر السابق، ص14.

(5) جمع قرش، وهي الوحدة النقدية العثمانية الأساسية، وهي نوعان ذهب وفضة، فالقرش الذهبي عيار 833 يزن ستة دراهم، أما القرش الفضي فيساوي عياره 9 دراهم.

سهيل صابان، المعجم الموسوعي، ص ص178 – 179.

(6) أحمد بيت المال، المصدر السابق، ج1، ص ص209 – 211.

هورخرونيه، المصدر السابق، ج1، ص ص309 – 312.

(7) سبقت ترجمته في ص 18

(8) أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق/ شعيب الأرناؤوط وآخرون، دمشق، دار الرسالة العلمية، الطبعة الرابعة 1436هـ/ 2015م، ج1، ص205.

(9) سبقت ترجمته في ص 5

والشيخ محمد بن حميد[1]، ثم جرى اطلاع الشريف عبدالله على ذلك ليرى ما يراه، فما كان منه إلا أن أمر بالعمل بما أفتى به العلماء[2].

كما كان من عادة الشريف عبدالله أيضاً أن يقيم في اليوم الأول من عيد الفطر سماطاً[3] عظيماً – فرحاً وسروراً وابتهاجاً بالعيد الأمر الذي يعد إحياءً لشعيرة من شعائر الإسلام[4] – يدعو إليه والي الحجاز والعلماء والخطباء وكبار رجال الدولة في الحجاز ومن ثم يعايدون ويخرجون ثم ترمي المدافع طلقاتها النارية احتفاءً بهذه المناسبة الدينية السعيدة[5].

ولا يعني ذلك التسامح أو تلك المرونة لدى الشريف عبدالله التساهل فيما يخالف الشرع الحنيف، وعليه فقد أمر بإبطال أي نوع من الاحتفال بيوم عاشوراء[6] سواء بالفرح والسرور لنجاة نبي الله موسى عليه السلام من فرعون، أو بالحزن والبكاء والعويل لاستشهاد الحسين بن علي رضي الله عنهما في كربلاء[7]، فالصحيح هي الوسطية وما أمرنا به النبي ~ بصومه واستذكار ما كان فيه بتدبر وتأمل[8].

- وفاته:

وبعد حياة حافلة بالعطاء قدم فيها الشريف عبدالله أعمالاً قيمة وجليلة في كافة الميادين رغم قصر عمره من خلال منصب الشرافة[9] أو حتى قبل توليه إياه زمن والده الشريف محمد بن عبدالمعين بن

---

[1] هو محمد بن عبدالله بن حميد الحنبلي المكي، وُلد سنة 1236هـ/1821م، وكان مفتي الحنابلة بمكة المكرمة، صاحب كتاب "السحب الوابلة في طبقات الحنابلة"، توفي بالطائف سنة 1295هـ/1878م.

عبدالله غازي، المصدر السابق، ص ص385 – 386.

[2] أحمد بيت المال، المصدر السابق، ج1، ص ص470 – 474.

[3] هو الصف الواحد المنظّم من الناس والبيوت، ويكون أيضاً بمعنى ما يمد عليه الطعام على شكل منتظم وصف واحد، وفي مكة المكرمة يعني السماط المائدة الكبيرة التي تكثر فيها الصحون وأصناف الحلوى للزينة.

أحمد رضا، معجم متن اللغة، بيروت، 1378هـ/1959م/ م3، ص ص208 – 209.

حسام مكاوي، المرجع السابق، ص189.

[4] جميع شعيرة وهي جميع متعبدات الله سبحانه وتعالى التي أشعرها (جعلها) أعلاماً لنا، وهي كل ما كان من موقف أو مسعى أو ذبح لله تعالى وحده دون غيره، قال تعالى: "ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب" [الحج، آية: 32].

محمد الأمين المكي، المصدر السابق، ص10.

[5] أحمد بيت المال، المصدر السابق، ج1، ص118.

[6] هو يوم العاشر من شهر محرم الحرام من كل عام.

[7] تقع كربلاء في الضفة اليسرى لقناة الحسينية غربي الفرات على بعد 55 كيلو جنوب غرب بغداد، اكتسبت شهرتها عبر التاريخ من كونها الأرض التي استشهد فيها الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما في يوم العاشر من محرم عام 61هـ/680م.

مجموعة من الباحثين، معجم البلدان والقبائل، م8، ص ص511 – 514.

[8] أحمد بيت المال، المصدر السابق، ج1، ص443.

[9] سبق ذكره في ص3.

عون[1]، أصيب بمرض عرق النسا[2] قبل وفاته ببضع سنين وعولج منه وشفي شفاءً غير تام، حيث لم يكن يستطع ركوب الخيل أو المشي بدون عصا يعتمد عليها في يده، ومع ذلك لم ينقطع عن الجلوس في ديوان الإمارة الجليلة ومقابلة الناس والنظر في مصالحهم[3].

وفي يوم 1294/6/13هـ الموافق 1877/6/25م توفي الشريف عبدالله أمير مكة المكرمة وحاكمها في بستانه بالطائف وعمره 56 سنة، وصلى عليه السيد أحمد زيني دحلان[4] في مسجد ابن العباس رضي الله عنهما[5] ودُفن في مقبرته، وكانت ولايته على إمارة مكة المكرمة 19 سنة وثلاثة أشهر، وعقّب من الذكور اثنان هما الشريف علي[6] والشريف محمد ومن الإناث أربع[7].

وقد خلف الشريف عبدالله على إمارة مكة المكرمة أخاه الشريف حسين[8] الذي كان مقيماً في استانبول، وإلى حين قدومه إلى مكة المكرمة أقام والي الحجاز تقي الدين باشا[9] أخاه الشريف عون[10] وكيلاً عنه في الإمارة[11]

(1) سبقت ترجمته في ص 7

(2) مرض يسبب ألماً في العصب النسوي الذي يمتد من الحوض بطول الساق من الخلف حتى القدم، مما يشعر الشخص المصاب به بألم في كل من الساق والقدم والعمود الفقري.

الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة، الطبعة الثانية، 1419هـ، ج16، ص240.

(3) أحمد زيني دحلان، المصدر السابق، ص59.

إسماعيل حقي جارشلي، المرجع السابق، ص224.

(4) سبقت ترجمته في ص 5

(5) هو مسجد الطائف الأكبر والأشهر، فلا يذكر الطائف إلا ويُذكر معه، وينسب إلى ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبر هذه الأمة عبدالله بن العباس رضي الله عنهما، والذي نزح إلى الطائف وتوفي فيه، وفي عهد الخليفة العباسي الناصر لدين الله بنى بجوار قبره المسجد المعروف حالياً باسمه وذلك في عام 592هـ/ 1196م، وقد تم تجديده وترميمه عبر التاريخ مرات عديدة.

عاتق البلادي، المرجع السابق، ج8، ص1589.

عيسى القصير، الطائف القديم داخل السور في القرن 14هـ، الطائف، مكتبة المصيف، الطبعة الثانية، 1434هـ/2013م، ص ص232 – 233.

(6) عُين أميراً على مكة المكرمة في شعبان 1323هـ/ سبتمبر 1905م، وبقي في شرافتها حتى عزل عنها بعد ثلاث سنوات في عام 1326هـ/1908م.

إسماعيل حقي جارشلي، المرجع السابق، ص ص226 – 227.

(7) أحمد بيت المال، المصدر السابق، ج1، ص ص519 – 520.

عبدالفتاح راوه، المرجع السابق، ص386.

(8) سبقت ترجمته في ص 23

(9) عمل والياً على الحجاز ما بين عامي (1291 – 1294هـ/1874-1877م)، وكان قبلها مفتياً في حلب، ثم وقعت فتنة اتُّهم بالتسبب فيها، مما أدى إلى تنافر بينه وبين أهلها فعزل من الفتوى وتوجه إلى استانبول، وأُعطي رتبة الوزارة، ثم ترقى وولي ولايات منها بغداد والحجاز.

محمد الأمين المكي، المصدر السابق، ص232.

(10) وُلد بمكة المكرمة في عام 1256هـ/1841م، وناب في إمارتها عن أخيه الشريف حسين، ثم توجه إلى استانبول ولقب فيها بالوزارة وعمل في مجلس الشورى، كان جباراً طاغية خافه الناس خلال فترة إمارته والتي استمرت 24 عاماً (1299-1323هـ/1882-1905م)، توفي بالطائف.

الزركلي، المصدر السابق، ج5، ص ص97 – 98.

(11) أحمد بيت المال، المصدر السابق، ج1، ص522.

- الخاتمة:

مما سبق يتضح للقارئ الكريم وبكل جلاء ووضوح ما تركه الشريف عبدالله حاكم مكة المكرمة وأميرها من بصمات واضحة في شتى الميادين سواء الأمنية أو الإدارية أو العسكرية ليس في مكة المكرمة فحسب بل وفي عموم الحجاز من استقرار وازدهار وتسامح منذ أن كان في ريعان شبابه قائم مقام عن والده في مكة المكرمة مروراً بمنحه رتبة الوزارة أثناء إقامته باستانبول ليكون بذلك أول شريف يحصل عليها، وتعيينه عضواً في مجلس شورى الدولة ووصولاً بتوليه منصب الشرافة والذي بقي فيه ما يقرب من عشرين عاماً، وهو أمر قلما كان يحدث طوال فترات حكم الأشراف للحجاز والذي استمر ما يقرب من ألف عام إلا فيما ندر، حيث كان الطابع السائد كثرة المنازعات والمنافسات فيما بينهم على منصب الشرافة وما ينتج عن ذلك من اضطراب الناحية الأمنية، الأمر الذي ينعكس سلباً على الأهالي والحجاج والزوار في جميع أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية... الخ.

وبالطبع فإن ذلك يعود إلى عدد من العوامل يأتي في مقدمتها شخصية الشريف عبدالله الذي عُرف عنه رجاحة العقل وصواب الفكر وقوة العزيمة بين الأهالي والهيبة والوقار بين عموم أشراف الحجاز، والثقة والاحترام لدى الولاة العثمانيين في الحجاز واللطف ولين الجانب مع العلماء وتقريبهم إليه.

وأخيراً يرجو الباحث من الله العلي القدير أن يكون قد وُفق فيما قدمه من معلومات توضيحية مصحوبة بشروحات وتعليقات على الأحداث وتعريفات بالأماكن والأعلام بشكل صحيح، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا ومولانا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وصحابته الكرام الميامين.

عبدالفتاح راوه، المرجع السابق، ص386.

المصادر والمراجع

- **أولاً: الوثائق:**

1- الأرشيف العثماني، مراسلات الباب العالي إلى ولاية الحجاز (مكة المكرمة والمدينة المنورة) في الفترة من 1283 – 1291هـ، ترجمة وتعليق د. سهيل صابان، الرياض، مؤسسة الفرقان، 1425هـ/2004م.

2- سالنامة ولاية الحجاز، 1303هـ

- **ثانياً: المصادر:**

1- الأمين المكي، محمد، الآثار المبرورة والمشكورة للسلاطين العثمانيين في الحرمين الشريفين، ترجمة/ د. سعد الدين أونال، تحقيق د. أيمن زامل، القاهرة، أروقة أزهرية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى 1446هـ/2025م.

2- باسلامة، حسين، تاريخ عمارة المسجد الحرام بما احتوى من مقام إبراهيم وبئر زمزم والمنبر وغير ذلك، جدة، تهامة، الطبعة الرابعة 1405هـ/1984م.

3- بوركهارت، جون لويس، رحلات إلى شبه الجزيرة العربية، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، 2005م.

4- بيت المال، أحمد، النخبة السنية في الحوادث المكية، تحقيق/ حسام مكاوي، مكة المكرمة، مركز تاريخ مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1443هـ/2022م.

5- حنبل، أحمد بن، المسند، تحقيق/ شعيب الأرناؤوط وآخرون، دمشق، دار الرسالة العلمية، الطبعة الرابعة 1436هـ/2015م.

6- دحلان، أحمد زيني، تاريخ أشراف الحجاز، تحقيق: د. محمد أمين توفيق، بيروت، دار الساقي، الطبعة الأولى 1993م.

7- الدولة العثمانية، الدستور (النظام الأساسي) أو (القانون الأساسي العام)، ترجمة/ نوفل أفندي نعمة الله نوفل، مراجعة/ خليل أفندي الخوري، بيروت، المطبعة الأدبية 1301هـ.

8- الزركلي، خير الدين، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة السابعة عشر 2007م.

9- السباعي، أحمد، تاريخ مكة، مكة المكرمة، مطابع الصفا، الطبعة الثامنة 1420هـ/1999م.

10- السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء، بيروت، دار الفكر.

11- غازي، عبدالله، نظم الدرر في اختصار نشر النور والزهر في تراجم أفاضل أهل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، تحقيق د. عبدالملك بن دهيش، مكة المكرمة، المكتبة الأسدية، الطبعة الأولى 1435هـ/2014م.

12- فريد بك، محمد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق د. إحسان حقي، بيروت، دار النفائس، الطبعة السابعة، 1414هـ/1993م.

13- الكردي، محمد طاهر، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، تحقيق د. عبدالملك بن دهيش، مكة المكرمة، مكتبة الأسدي، الطبعة الثالثة 1425هـ/2004م.

14- هورخرونيه، سنوك، صفحات من تاريخ مكة المكرمة في نهاية القرن 13هـ، ترجمه إلى العربية محمد الرياني ومعراج مرزا، مراجعة/ محمد إبراهيم أحمد علي، مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي

الأدبي، الطبعة الأولى 1411هـ/1990م.

- **ثالثاً: المراجع:**

1- باناجه، عبدالإله، تاريخ جدة من أ قدم العصور حتى نهاية العصر العثماني، الطبعة الأولى 1436هـ/2015م.
2- البلادي، عاتق، معجم معالم الحجاز، بيروت، مؤسسة الريان للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1431هـ/2010م.
3- جارشلي، إسماعيل حقي، أشراف مكة المكرمة وأمراؤها في العهد العثماني، ترجمة/ د. خليل مراد، بيروت، الدار العربية للموسوعات، الطبعة الأولى 1424هـ/2003م.
4- الحربي، تهاني، القنصليات الأجنبية في جدة (1252-1344هـ/1836-1925م) الرياض، مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، 1440هـ.
5- حسون، علي، العثمانيون والروس، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى 1402هـ/1982م.
6- حسون، علي، تاريخ الدولة العثمانية، دمشق، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة 1415هـ/1994م.
7- راوة، عبدالفتاح، تاريخ أمراء البلد الحرام عبر عصور الإسلام، الطائف، مكتبة المعارف، 1407هـ/1986م.
8- رضا، أحمد، معجم متن اللغة، بيروت، 1378هـ/1959م.
9- رضا، يوسف، معجم العربية الكلاسيكية والمعاصرة، بيروت، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى 2006م.
10- الرفاعي، أنور، الإسلام في حضارته ونظمه، دمشق، دار الفكر، الطبعة السادسة 1434هـ/2013م.
11- ساعاتي، فوزي، حارة الشامية والحارات المجاورة لها وشرف الجوار في شمال المسجد الحرام، جدة، الطبعة الأولى 1434هـ.
12- صابان سهيل، مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني، الرياض، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، 1425هـ/2004م.
13- صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة د. عبدالرزاق بركات، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1421هـ/2000م.
14- الصواف، فائق، العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز (1293-1334هـ/1876-1916م)، القاهرة، مطابع سجل العرب، 1398هـ/1978م.
15- العارف، يوسف، العثمانيون وحكومة الأدارسة في عسير (1325-1337هـ/1907-1918م) جدة، دار أبو المجد للطباعة، الطبعة الأولى 1415هـ/1995م.
16- عبدالغني، عارف، تاريخ أمراء المدينة المنورة (1-1417هـ)، دمشق، دار كنان، 1417هـ/ 1996م.
17- العنقاوي، أحمد ضياء، معجم أشراف الحجاز في بلاد الحرمين، تقديم/ سامي العنقاوي وهزاع العبدلي، بيروت، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1426هـ/2005م.

18- عيسى، عبدالرزاق، دراسات ورسائل في تاريخ المدينة المنورة، القاهرة، دار القاهرة، 2009م.
19- فهيم، محمد علي، ملامح النشاط الاجتماعي في مكة المكرمة في القرن 12هـ/18م، القاهرة، زهراء الشرق، الطبعة الأولى 2009م.
20- القثامي، أريج، مكة المكرمة، (1277-1334هـ/1861-1916م)، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، كرسي الملك سلمان بن عبدالعزيز لدراسات تاريخ مكة المكرمة، 1437هـ/2016م.
21- القصير، عيسى، الطائف القديم داخل السور في القرن 14هـ، الطائف، مكتبة المصيف، الطبعة الثانية، 1434هـ/2013م.
22- كحالة، عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة، 1414هـ/1994م.
23- لاروس، أطلس بلدان العالم، بيروت، عويدات للنشر والطباعة، الطبعة الأولى 2015م.
24- مجموعة من الباحثين، موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، الطبعة الأولى 1430هـ/2007م.
25- مجموعة من الباحثين، معجم البلدان والقبائل في شبه الجزيرة العربية والعراق وجنوب الأردن وسيناء، ترجمه وعلق عليه د. عبدالله ناصر الوليعي، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، 1435هـ/2014م.
26- المطيري، سلمان، الإدارة العثمانية في المدينة المنورة (1281-1327هـ/1864-1909م)، المدينة المنورة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، 1435هـ/2014م.
27- مكاوي، حسام، المصطلحات الحضارية في مكة المكرمة من خلال بعض الكتب والوثائق المكية من القرن 9هـ حتى منتصف القرن 14هـ، مكة المكرمة، مركز تاريخ مكة المكرمة 1437هـ/2016م.
28- منسي، عبدالله، البيت الحرام في العصر الحديث (923-1344هـ/1517-1926م)، جدة، جامعة الملك عبدالعزيز، مركز النشر العلمي، الطبعة الأولى، 1434هـ/2013م.
29- الموسوعة العربية ا لعالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة، الطبعة الثانية، 1419هـ.
30- الهاشمي، حسين، طبقات حجاب الكعبة، بيروت، مؤسسة الريان، الطبعة الأولى، 1434هـ/1994م.
31- ياغي، إسماعيل، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، الرياض، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، 1416هـ/1996م.

- **ثالثاً: الرسائل الجامعية:**

1- زامل، أيمن، الأوضاع السياسية والإدارية للمدينة المنورة في عهد السلطان عبدالحميد الثاني (1293-1327هـ/1876-1909م)، جامعة الملك عبدالعزيز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، رسالة دكتوراه، إشراف د. عبدالله منسي، 1435هـ/2014م.
2- ششه، نوال، ا لحجاز تحت حكم محمد علي (1226-1256هـ/1811-1840م)، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، رسالة دكتوراه، إشراف د. عبداللطيف بن دهيش، 1409هـ/1989م.
3- المصعبي، حمده، السالنامة كمصدر من مصادر تاريخ الحجاز خلال فترة الحكم العثماني الثاني،

1303هـ/1886م، جامعة الملك عبدالعزيز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، رسالة ماجستير، 1435هـ/2013م.

- **رابعاً: الدوريات:**

1- العمرو، صالح، النزاع التركي المصري على شمال الحجاز وسيناء وتدخل الحكومة البريطانية (1884-1906م)، مجلة الدارة، السنة 5، العدد 1، ربيع ثاني 1399ه/ مارس 1979م).